الظلام يحكي

© حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتـــاب: الظلام يحكي
تـأليـــــــف: محمد عادل سويلم
تدقيق لغوي: رنا أبو الغيط
تصميم داخلي: سالم عبدالمعز سواح
النـاشـــــر: دار الزيات للنشر والتوزيع

القـطـــــع: 21X14
سنـة النشـر: 2025

تم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية برقم: 30341 / 2025
الترقيم الدولي (ISBN): 978 - 977 - 844 - 675 - 3

دار الزيات للنشر والتوزيع
المشهرة قانونًا بسجل تجاري رقم/ ٤٩٣٥١

ت: ٠١٠٦٦٧٣٦٧٦٥ - ٠١٠١٥٧٦٦٠١٤ / shahnda71@gmail.com

ISBN 978-977-844-675-3

الظلام يحكي

تأليف

محمد عادل سويلم

كفر باسط.. وبيت الظل

في صيف عام ١٩٩٨، بينما كان الصحفي الشاب "ياسر محمود" يبحث في أرشيفات المكتبة الوطنية بالقاهرة عن قصص شعبية من الريف المصري لتحقيق استقصائي، عثر على صندوق قديم مغبرّ في قسم الأرشيفات الاستعمارية.

كان الصندوق مغلقًا بقفل صدئ، وعليه ملصق مكتوب بخط يد بالإنجليزية: "محظور التداول بأمر حكومي – سجلات القاهرة، ١٩١٣".

فضوله دفعه لفتحه سرًّا، متجاهلًا تحذيرات موظف المكتبة العجوز الذي قال:

"أنا من سنين يا بيه وأنا معرفش مين صحاب الصندوق ده، ولا حد طلبه، بس اللي أعرفه إن كل الموظفين اللي قبلي عارفين عنه حاجة معينة تخليهم يسيبوه في حاله."

داخل الصندوق، وجد ياسر دفترًا جلديًّا ممزقًا، كتبته يد مضطربة بخط عربي مختلط بالإنجليزية.

كان يخص جنديًا مصريًا يُدعى "حسن عبد الرحيم"، عمل مترجمًا للضابط البريطاني "جوناثان كلايد" أثناء مهمة حرق قرية كفر باسط. الدفتر كان مزيجًا من الملاحظات اليومية والاعترافات المرعبة.

كتب حسن أنه لم يستطع الصمت عمّا رآه، رغم أوامر البريطانيين بإبقاء الأمر سرًا. لكنه لم ينشر الدفتر أبدًا، خوفًا من العواقب، واكتفى بإخفائه في الأرشيف قبل وفاته في عشرينيات القرن العشرين.

وفقًا للدفتر، وصل حسن مع فصيلة كلايد إلى قرية الظلال في ربيع ١٩١٣ بعد تقارير عن "اضطرابات غير طبيعية". لكنهم لم يجدوا وباءً كما ادّعى البريطانيون لاحقًا. بدلًا من ذلك، وجدوا قريةً تبدو وكأنها تجمدت في لحظة رعب:

شوارع مغطاة برمال سوداء غريبة، منازل عليها نقوش تشبه الكتابة الهيروغليفية لكنها "خاطئة"، وجثث مشوهة نصف

مدفونة في الأرض، بعضها يُشبه الأجنة البشرية كأنها ممسوخة مع أجنة حيوانية.

كتب حسن أن الجنود البريطانيين كانوا مرعوبين، خاصة عندما سمعوا ضحكات خافتة تأتي من بيت الظل، البيت المهجور في وسط القرية.

الجزء الأكثر رعبًا في الدفتر كان وصف حسن للمرآة التي وجدوها في بيت الظل.

كان كلايد قد أمر بإحراقها مع بقية القرية، لكن حسن، بدافع الفضول، لمسها قبل إشعال النار. في تلك اللحظة، رأى في المرآة وجه امرأة عجوز -زينب الغجرية- تبتسم له، رغم أنها لم تكن موجودة في الغرفة.

سمع صوتها يهمس:

"ستحمل قصتي، يا حسن."

منذ تلك اللحظة، بدأ حسن يعاني من كوابيس يرى فيها زينب تقف عند سريره، تطالبه بكتابة الحقيقة.

حسن كتب أيضًا أن النار التي أحرقت القرية لم تكن عادية. كانت تتوهج بلون أزرق غريب، وظلال كبيرة كانت تتحرك داخل اللهب، كأنها تحاول الهرب.

بعد الحرق، أمر كلايد الجنود بالصمت، مهددًا إياهم بالسجن إذا تحدثوا. لكن حسن، الذي شعر أن اللعنة انتقلت إليه عبر المرآة، كتب القصة سرًا، آملًا أن يحرر روحه.

في ليلة مقمرة عام ١٩١٢، اختفى سالم ابن الشيخ مختار، سالم، وهو فتى في الخامسة عشرة. قيل إنه شوهد آخر مرة يتجه إلى بيت الظل.

عندما اقتحم القرويون البيت، وجدوا دائرة من الرماد مرسومة على الأرض، تُحيط بها نقوش غريبة تُشبه الكتابة

الهيروغليفية، لكنها كانت ملتوية، كأنها تتحرك تحت الضوء.

زينب الغجرية التي كانت تقف في المنتصف، وهي ساحرة تحاول قدر المستطاع أن تُخفي أنها ساحرة، لكن أهل القرية يعلمون أن هناك شيئًا مريبًا يحوم حول تلك المرأة، ادعت أن "سالم "اختاره الجن" ليكون قربانًا للجماعة اللي تحت، وهيجي من وراهم خير كتير".

لكنّ عينيها، السوداوين كالليل، كانتا تخفيان شيئًا أكثر رعبًا.

بعد تلك الليلة، بدأت اللعنة. أول علامة لاحظها أهل القرية أن كل الماشية والدواجن كانت تصبح كل يوم نافقة وميتة دون سبب معروف. يوم وراء يوم، حتى خسرت القرية كل زادها من الثروة الحيوانية، حتى كلاب الشوارع. بعدها انتشرت الحرائق في كل القرية دون سبب، حتى إن الناس تحكي أن النار كانت تشتعل وهم يتناولون العشاء بجانبهم دون سبب أو متهم، حتى وصلت اللعنة إلى المساجد!!

كانت أبواب المسجد الوحيد في القرية، وهو مبنى قديم من الطوب اللبن، تُغلق بقوة غير مرئية كلما حاول أحد الدخول. حتى الأذان توقّف، إذ كان المؤذن يسمع صوتًا يهمس من خلفه: "لا مكان للنور هنا." حاول القرويون كسر الأبواب، لكنهم وجدوا الخشب ينزف سائلًا أسود كالقطران.

الحقول، التي كانت خصبة، تحولت إلى أرض جرداء، والقصب بدأ يتساقط كأنه يذوب. لكن الأسوأ كان ما حدث للنساء الحوامل. بدأت الأجنة تولد مشوهة، بأطراف ملتوية أو وجوه ناقصة، كأن شيئًا ما كان يعبث بها داخل الرحم. كانت النساء تصرخن أثناء الولادة، يقلن إنهن يشعرن بأيد باردة تمسك أطفالهن من الداخل.

القرويون، المذعورون، اتهموا زينب. لكن عندما ذهبوا إلى بيت الظل لمواجهتها، وجدوا البيت فارغًا، باستثناء مرآة قديمة معلقة على الحائط. كانت المرآة تعكس وجوهًا ليست لهم – وجوهًا مشوهة، بأعين سوداء وأفواه مفتوحة كأنها

تصرخ. حاول أحدهم تحطيم المرآة، لكنه سقط ميتًا، وخرج من فمه سائل أسود.

بدأت الأصوات تملأ القرية ليلًا: ضحكاتٌ خافتة، خطواتٌ ثقيلة في الشوارع الطينية، وهمساتٌ تقول: "أنتم ملكي الآن." بعض القرويين حاولوا الفرار، لكنهم وجدوا أن الغيطان المحيطة بالقرية تحولت إلى متاهة من الضباب. كل من حاول العبور اختفى، وكان القرويون يسمعون صراخهم يتردد من بعيد.

في ربيع عام ١٩١٣، وصلت أنباء غامضة عن قرية كفر باسط إلى السلطات البريطانية في القاهرة. كان الخبر الوحيد الذي تسرّب هو رسالة من تاجر متجول، قال إن القرية "ملعونة" وإن الجميع فيها إما ماتوا أو فقدوا عقولهم. أرسلت الحكومة البريطانية فصيلة صغيرة بقيادة ضابط يُدعى "جوناثان كلايد". عندما وصلت الفصيلة، وجدوا القرية شبه مهجورة. كانت الشوارع مغطاة برمال سوداء غريبة، والمنازل مليئة

بنقوش مشابهة لتلك التي في بيت الظل. وجدوا أيضًا جثثًا مشوهة، بعضها نصف مدفون في الأرض كأن شيئًا ما حاول سحبها إلى أسفل.

كلايد، الذي كان رجلًا عمليًا، قرر أن القرية تُشكل خطرًا قد أصبح أمر احتوائه مستحيلًا. أمر بحرقها بالكامل، مدعيًا أن وباءً غامضًا ضربها. لكن الجنود الذين نفذوا الأمر عادوا مختلفين - كانوا يتحدثون عن رؤية ظلال تتحرك في اللهب، وعن صوت زينب يضحك من بعيد. تم إغلاق ملف القرية رسميًا، ومُنع ذكرها في السجلات الرسمية. حتى الفلاحين في القرى المجاورة تجنبوا الحديث عنها، وأصبحت "كفر باسط" مجرد همسة في القصص الشعبية.

حتى اليوم، في عام ٢٠٢٥، لا يزال موقع قرية كفر باسط غامضًا. يُقال إن الغيطان التي كانت تحيط بها لا تزال موجودة، لكن لا أحد يجرؤ على استكشافها. القليل من الرحالة الذين اقتربوا من المنطقة أبلغوا عن رؤية أضواء

خافتة تتراقص في الضباب، وعن مرآة مكسورة نصف مدفونة في الرمال، تعكس وجوهًا ليست لهم. وفي الليالي الهادئة، يُقسم الفلاحون في القرى القريبة أنهم يسمعون صوت امرأة تهمس: "هتفضل لعنتي محوطاكم."

ظلال مِرابي

"الكيان الذي جاء مع البركان"

في عام ١٩٥٣، كانت قرية صغيرة تُدعى "سوكاماجان" تقع على السفوح الشمالية لجبل مِرابي في جزيرة جاوة الإندونيسية، تعيش حياة هادئة.

أهالي القرية كانوا مزارعين وصيادين، معتادين على أصوات هدير البركان، إذ كان الجبل نشطًا، لكن انفجاراته لم تكن قاتلة في الذاكرة الحديثة.

لكن في منتصف شهر أغسطس من ذلك العام، وقع حدث غيّر كل شيء، وأدخل اسم القرية في سجل الحوادث الغامضة التي ما زالت تثير الرعب حتى اليوم.

في صباح السادس عشر من أغسطس، بدأ الجبل يصدر أصواتًا غريبة تشبه قرع الطبول، تلاها اهتزاز الأرض. لكن الغريب أن الحيوانات في القرية -من الماشية إلى الكلاب- بدت مضطربة على نحو غير مألوف؛ كانت تنظر نحو قمة الجبل وتطلق أصوات تحذير حادة، وكأنها ترى ما لا يراه البشر.

بحلول الظهيرة، انطلقت من فوهة مِرابي أعمدة دخان أسود كثيف، أعقبها انفجار هائل هزّ السماء.

لم يكن هذا الانفجار يشبه الانفجارات البركانية المعتادة، إذ حمل معه صرخة مدوية لم يستطع أحد تحديد مصدرها، لكنها كانت أشبه بصوت حيّ يحتضر.

أُجبر الأهالي على الفرار، لكن بعض الشيوخ ظلوا يراقبون المشهد من مسافة. كانوا شهودًا على أمر لن يصدقه أحد: وسط سيل الرماد والدخان، ظهر شكل مظلم، طويل القامة، يترنح وسط اللهب، ثم انحنى وكأنه يشم الأرض، قبل أن يختفي بين ألسنة الدخان المتجهة نحو القرية.

مع حلول الليل، هدأ البركان نسبيًا، لكن القرية كانت مغطاة بطبقة رمادية كثيفة من الرماد، تحجب القمر.

في تلك الليلة، بدأ بعض الناجين من الانفجار يسمعون أصوات خطوات ثقيلة حول منازلهم، تليها خربشة على الجدران الخشبية.

أحد الرجال، ويدعى "أرفان"، أقسم أنه رأى من نافذته جسدًا ضخمًا، بطول يفوق المترين ونصف، بلا ملامح واضحة، سوى عينين متوهجتين باللون الأحمر الداكن.

في صباح اليوم التالي، عُثر على أرفان ميتًا في فناء منزله. لم يكن هناك جرح ظاهر، لكن بشرته بدت باهتة كما لو استُنزفت دماؤه، وعيناه مفتوحتان على اتساعهما في تعبير فزع أبدي.

بعد الحادثة، تذكّر أحد الشيوخ قصة قديمة كان يحكيها أجداده: عن "رُوح الحَمَّال" أو "لامانغ غونغ"، كيان أسطوري يُقال إنه كان محبوسًا في جوف مِرابي منذ مئات السنين، بعد أن لعنته قبائل قديمة لأنه كان "يأكل أرواح المحاربين".

الأسطورة تقول إنه إذا تحرر، فلن يقتل مباشرة، بل سيتغذى على الخوف أولًا، يطارد الضحايا عدة ليالٍ قبل أن يزهق أرواحهم.

في الأيام التالية، بدأت الظواهر الغريبة تتزايد. كان الأهالي يجدون آثار أقدام ضخمة، ذات ثلاثة أصابع، محفورة في الرماد حول البيوت، لكنها تنتهي فجأة وكأن الكائن تبخر في الهواء. البعض بدأ يسمع همسات بلغة غريبة لا يفهمونها، تأتي من بين أشجار الموز أو من قرب ضفاف النهر.

الأغرب أن الكلاب في القرية كانت تختفي، ثم يعثرون عليها بعد يوم أو اثنين، جثثها جافة كأنها أُفرغت من الدماء، لكن بلا أثر لأي تمزق.

أحد الشهود، وهو صياد يُدعى "سوتارنو"، روى لاحقًا للسلطات أنه كان يسير ليلًا قرب الحقول، فرأى من بعيد ظلًا يتحرك بسرعة غير طبيعية، يلتف بين الأشجار ثم يقف ثابتًا تمامًا.

قال إنه حين وجّه مصباحه نحو الظل، لم يرَ سوى جسد مغطى بطبقة لامعة كقشرة الحمم، ورائحة كبريتية خانقة جعلته يتقيأ.

بدأت العائلات تغادر القرية جماعات، لكن الغريب أن بعض الفارين لم يصلوا إلى القرى المجاورة.

من بين خمسة رجال غادروا في إحدى الليالي، وُجد ثلاثة فقط على الطريق الرئيسي، وكانوا في حالة صدمة، عاجزين عن الكلام، بينما اختفى الاثنان الآخران بلا أثر.

أحد الناجين الثلاثة استطاع أن يهمس بعد أيام قليلة بكلمات متقطعة:

"الظلام... كان يمشي خلفنا... ثم صار أمامنا."

مات هذا الرجل بعد ساعات، بنفس أعراض أرفان: شحوب كامل، وجمود العينين.

أرسلت الشرطة الإندونيسية في بداية سبتمبر فريقًا صغيرًا للتحقيق. جاء معهم عالم جيولوجيا يُدعى "د. أنور حليم"، مهتم بالربط بين النشاط البركاني والظواهر البيئية.

سجّل الفريق أن نسبة الغازات الكبريتية في الهواء مرتفعة جدًا، لكن ذلك لم يفسر حالات الوفاة.

في الليلة الثانية من تواجدهم، كان الفريق يقيم في مدرسة القرية المهجورة.

عند الساعة الثانية فجرًا، سمعوا طرقًا قويًا على الأبواب والنوافذ، تبعته أصوات سحب الأثاث على الأرض، رغم أن المدرسة كانت فارغة. أحد الضباط أطلق النار عبر النافذة، لكن الرصاص ارتدّ كما لو اصطدم بجدار معدني.

في الصباح، وُجد الضابط نفسه ميتًا على مقعده، رأسه مائل للخلف، وعيناه جاحظتان، وجسده بارد كالجليد رغم حرارة الجو.

قرر "د. أنور" نصب كاميرات تصوير بدائية على أسطح المنازل.

في الليلة الرابعة، التقطت إحدى الكاميرات صورة مشوشة لما بدا كجسم طويل القامة، مشقوق في المنتصف، وله أطراف كالأغصان المحترقة، يقف وسط الشارع وينظر مباشرة نحو العدسة.

في تلك الليلة، قال اثنان من الفريق إنهما شاهدا الكائن يدخل منزلًا من دون أن يفتح الباب، وكأنه مرّ من خلال الجدار.

بعد دقائق، انطلق صراخ من داخل المنزل، وعندما اقتحموه، وجدوا الساكنة الوحيدة — امرأة مسنة — ميتة بنفس العلامات المعتادة.

بعد أسبوعين من التحقيقات، لم تجد السلطات أي تفسير علمي، لكن عدد الوفيات والاختفاءات جعلهم يفرضون إخلاءً كاملًا للقرية. بحلول أكتوبر ١٩٥٣، كانت "سوكاماجان" قرية أشباح.

الغريب أن الكيان — إن كان موجودًا بالفعل — لم يُرصد في القرى المجاورة. بعض الباحثين افترضوا أن وجوده مرتبط بموقع الانفجار نفسه، أو ربما بما وصفته الأسطورة من أنه "يعود إلى الأرض التي انبثق منها."

اليوم، وبعد أكثر من سبعين عامًا، لا تزال الصور التي التقطها فريق "د. أنور" محفوظة في أرشيف جامعة إندونيسيا، لكن لا يُسمح بعرضها للعامة. القليل ممن رأوها يصفون الكائن بأنه "ظل يتخذ شكلًا"، لكن عينيه تحترقان كجمرتين وسط وجه بلا ملامح.

وفي عام ١٩٩٨، زار فريق من الصحفيين موقع القرية، ووجدوا أن معظم المباني قد تهدمت، لكن الأرض لا تزال مغطاة بطبقة رماد صلبة، عليها آثار أقدام غريبة -ثلاثة أصابع- تعود للاتجاهات كافة... وتنتهي فجأة، كما في روايات شهود الخمسينات.

أما الأسطورة، فهي باقية في ألسنة كبار السن من جاوة، الذين يكررون نفس التحذير:

"إذا سمعت همسًا في الليل قرب جبل مِرابي... فلا تلتفت، لأن لامانغ غونغ لا يحب أن يراك... إلا عندما يكون مستعدًا لأخذ روحك."

الظلام في كولفينيوم

في عام ١٩٧٨، أثناء أعمال ترميم في قبو مكتبة دير "سانت أنجيلو" في ضواحي روما، عثر عمال الصيانة على صندوق نحاسي قديم، مُحكم الإغلاق بالشمع.

داخل الصندوق وُجدت لفائف بردي ملفوفة بعناية، مكتوبة باللاتينية القديمة، وممهورة بختم أحد كتبة الإمبراطور تيتوس فلافيوس دوميتيانوس (حكم من ٨١ إلى ٩٦ ميلاديًا).

كان النص، الذي تم ترجمته لاحقًا بواسطة المؤرخ "ماركو سيلفاني"، عبارة عن تقرير كتبه ضابط روماني يُدعى غايوس ماريوس لوسيوس، كان مكلّفًا بحراسة قرية صغيرة تُدعى كولفينيوم تقع على بُعد يوم مسيرة شمال شرق روما.

التقرير يتحدث عن أحداث وقعت في شتاء عام ٨٦ ميلادي، ويصف هجومًا غير مفسر شنّته كائنات مجهولة على القرية. ما يلي هو نص الحكاية كما ورد في المخطوطة، مع حذف بعض المقاطع التالفة، وإضافة شروح مبسطة من المترجم.

يكتب غايوس:

"كانت كولفينيوم قرية صغيرة يسكنها نحو مئتي نفس، يعمل معظمهم في الزراعة وصناعة النبيذ. كانت القرية هادئة، تقع بين غابات كثيفة ومجرى نهر ضيق، ولم تكن ضمن أي طريق عسكري رئيسي، لذا كانت حياتها معزولة عن صخب روما."

لكن مع بداية ديسمبر، بدأت تصل للضابط تقارير غريبة: أصوات صفير حاد تأتي من الغابة ليلًا، أبقار وجِمال صغيرة تختفي من الحظائر، وأحيانًا يجدونها في الصباح مذبوحة على نحو غير بشري، جلودها مسلخة بإتقان، بلا أي آثار دماء على الأرض.

في اليوم العاشر من ديسمبر، كان الضباب كثيفًا، حتى إن الحراس بالكاد يرون أطراف رماحهم.

عند منتصف الليل، دوّى صوت صرخة بشرية من طرف القرية الشمالي.

هرع غايوس ورجاله نحو المصدر، لكنهم وجدوا أحد الفلاحين، واسمه "ماركوس فيديل"، ملقى على الأرض، ميتًا، عيناه مفتوحتان، وجسده مغطى بخدوش طويلة كأثر مخالب، لكن الغريب أن لحمه بدا متصلبًا، كما لو تجمد في لحظة.

الأغرب أن آثار أقدام غريبة أحاطت بالجثة: كانت أشبه بقدم إنسان، لكن بأصابع طويلة منحنية للخلف، وكأنها مصممة للركض فوق الطين دون أن تغوص فيه.

في الأيام التالية، أصبحت الأصوات الليلية أوضح: صفير متواصل، يتخلله همس بلغة غير مفهومة، وكأن عشرات الحناجر تردد كلمات معًا. الأهالي بدأوا يُغلقون أبوابهم بإحكام، ويُشعلون النيران طوال الليل، لكن ذلك لم يمنع الاختفاءات.

يصف غايوس في تقريره:

"في ليلة الخامس عشر من ديسمبر، شاهدت بعيني شيئًا لا يمكن لعقل سليم أن يصدقه. كان القمر بدرًا، والضباب أخف من المعتاد، وعند حافة الغابة رأيت أشكالًا تتحرك على أربعة أقدام، ثم تقف فجأة على اثنتين، بطول رجلين أو أكثر. لم تكن حيوانات، ولا بشر. كانت أجسادها نحيلة مغطاة بشيء يشبه الجلد المبلل، ورؤوسها طويلة بلا وجوه واضحة سوى ثقوب سوداء مكان الأعين."

بحلول ليلة العشرين من ديسمبر، اجتمع شيوخ القرية مع غايوس في الساحة، وقرروا إقامة حراسة مزدوجة حول المنازل. لكن مع حلول منتصف الليل، انقطع صوت الطبول المعتاد الذي يدقّه الحراس، وحلّ مكانه صمت ثقيل... ثم بدأ العواء.

ليس عواء ذئاب، بل صوت مركب، كأن العشرات يصرخون ويعوون في وقت واحد. تلا ذلك اندفاع كائنات من الضباب باتجاه القرية بسرعة مرعبة.

يقول غايوس:

"لم أرَ كيف خرجوا من الغابة، كانوا فجأة بيننا. يتحركون كأطياف سوداء، لكن عند اقترابهم ترى أطرافًا حقيقية، وأيادي تنتهي بمخالب طويلة. كانوا يُمسكون بالناس من أكتافهم، فيسقطون ميتين في الحال، بلا دماء، بلا صراع."

أحد الجنود طعن أحد الكائنات برمحه، لكن الحديد اخترق جسده كما يخترق الماء، ومع ذلك أطلق الكائن صرخة عالية وانكمش للحظة قبل أن يختفي وسط الضباب.

خلال أقل من ساعة، فقدت القرية نصف سكانها. لم تكن هناك جثث كثيرة، فقط اختفاءات.

بعض البيوت كانت أبوابها مفتوحة، وأواني الطعام ما زالت على النار، لكن ساكنيها رحلوا وكأنهم تبخروا.

مع بزوغ الفجر، انسحبت الكائنات كما ظهرت: فجأة وبلا أثر. تركت خلفها صمتًا مريبًا ورائحة كريهة تشبه العفن والكبريت.

يكتب غايوس:

"في اليوم التالي، دفنا من تمكنا من دفنه، وجمعت من تبقى من الناجين — حوالي سبعين شخصًا — وبدأنا مسيرة نحو مدينة رياتيه القريبة. طوال الطريق، كان الناجون يلتفتون خلفهم وكأنهم يتوقعون عودة الظلال. لكن الغريب أن الكائنات لم تغادر محيط القرية، وكأنها مرتبطة بمكانها."

وصل الناجون إلى رياتيه، لكن حين أرسل الحاكم قوة عسكرية لاستكشاف كولفينيوم، لم يجدوا أحدًا، ولم يجدوا

جثثًا. القرية كانت خاوية، بيوتها مهجورة، والنباتات بدأت تزحف على الطرقات.

بعد عامين، اندلعت حرائق غامضة في الغابات المحيطة، والتهمت ما تبقى من مباني القرية، حتى اختفت كولفينيوم من الخرائط. لم يجرؤ أحد على إعادة البناء هناك، وبقي المكان لعقود أرضًا محرمة.

شهادة غايوس الأخيرة

المخطوطة تنتهي بفقرة مخيفة، كتبها الضابط قبل شهر من وفاته في معركة على الحدود الجرمانية:

"أكتب هذه الكلمات الأخيرة لأني أعلم أن ما رأيته لن يُصدَّق، لكنني أقسم بآلهة روما أن تلك الكائنات لم تكن من هذا العالم. عيونها السوداء كانت تعرفنا، تراقبنا، تختار من

تأخذه ومن تتركه. ولدي يقين بأنها لم تختفِ... بل تنتظر."

بعد اكتشاف المخطوطة، حاول علماء التاريخ والأنثروبولوجيا تفسير ما حدث.

بعضهم أرجعه إلى مرض عصبي جماعي أو هجوم من قبيلة معادية متخفية، لكن غياب أي أدلة مادية -جثث، أسلحة، أو آثار معسكر - جعل النظرية غير مقنعة.

الفرضية الأكثر غرابة جاءت من باحث في الفلك الشعبي الإيطالي، قال إن الظاهرة قد تكون مرتبطة بـ"أيام الضباب الملعون" التي ذكرها شعراء روما القدماء، حيث يُقال إن "أرواح الغابة" كانت تخرج لتصطاد البشر.

حتى اليوم، لم يُعثر على موقع كولفينيوم بدقة، لكن صيادين محليين يزعمون أنهم حين يمرون في بعض وديان الغابة يسمعون صفيرًا خافتًا، ويتسرب إلى أنوفهم نفس الرائحة الكريهة التي وصفها غايوس قبل ألفي عام.

لعنة الأعماق

"ملف الإسكندرية السري"

في شتاء عام ٢٠٠٨، أثناء أعمال صيانة في أرشيف مكتبة الإسكندرية الحديثة، عُثر على صندوق خشبي صغير داخل جدار قديم في قبو المكتبة، يعود عمره إلى الحقبة الإيطالية في مصر (أوائل القرن العشرين).

داخل الصندوق كانت هناك مذكرات جلدية متآكلة، مختومة بشمع قديم، وإلى جوارها بعض الصور الفوتوغرافية بالأبيض والأسود، ورسالة باللغة الإنجليزية موقعة باسم: "الدكتور هارولد ميسون"، وهو عالم آثار بريطاني كان يعمل في الإسكندرية عام ١٩٢٤، ثم اختفى في ظروف غامضة.

المذكرات تصف سلسلة من الأحداث الغامضة التي وقعت أسفل شوارع الإسكندرية القديمة، مرتبطة بما سماه ميسون "اللعنة التي لا اسم لها".

ما يلي هو إعادة صياغة لما ورد في تلك المذكرات، مع ترجمة وتوضيح النقاط التالفة.

في مارس ١٩٢٤، كان "ميسون" يعمل مع بعثة أثرية مشتركة بين بريطانيا ومصر، هدفها التنقيب عن أنفاق الإسكندرية القديمة التي تعود للعصر البطلمي والروماني.

كانت هذه الأنفاق مغمورة بالمياه منذ قرون، لكن تراجع المد البحري آنذاك كشف مداخل لم تُسجَّل من قبل.

أحد هذه المداخل كان في حيّ الأنفوشي، تحت مبنى مهجور يعود للعصر العثماني.

كان المدخل ضيّقًا، لكنه يؤدي إلى ممرٍّ حجري منقوش عليه رموز غريبة لم يتمكن "ميسون" أو فريقه من تفسيرها، إذ لم تشبه أي كتابات يونانية أو مصرية معروفة.

على جدار الممرّ الأول، وجد الفريق نقشًا متآكلًا لوجه بلا ملامح، تحيط به خطوط تشبه أمواج البحر. أسفل الوجه كانت هناك عبارة باليونانية القديمة ترجمها "ميسون" إلى:

"لا توقظوا ما ينام تحت الأمواج، فإنه يتذكر الأسماء."

ظن الفريق أن الأمر مجرد تحذير أسطوري من بحّارة أو كهنة قدامى، لكن الحارس المصري المرافق، واسمه "عم جرجس"، رفض التقدُّم أكثر وقال لـ"ميسون":

"يا بيه... ده مكان ما يدخلوش بشر... ده مدفون عليه دم وميّه."

بعد مسيرة ٢٠٠ متر في الممرّ المائي، وصلوا إلى حجرة واسعة، جدرانها مغطاة بطبقة سوداء كالفحم، لكن الملمس كان طريًا ودبقًا، كأنه حيّ.

في وسط الحجرة، بركة ماء دائرية، مياهها داكنة كالحبر، لا تعكس الضوء.

أثناء الفحص، أسقط أحد العمال أداة معدنية في الماء، فانطفأت مشاعل الفريق للحظات، وسُمع من البركة صوت أشبه بأنينٍ طويل، يتردد في جدران الحجرة.

في تلك الليلة، توفي العامل الذي أسقط الأداة. وُجد في خيمته، عيناه مفتوحتان على اتساعهما، وجسده مغطى بطبقة رقيقة من الملح الأبيض، كأنه جفّ من الداخل.

الطبيب المرافق لم يجد أي سبب واضح للوفاة، ووصف الأمر بأنه "جفاف لحظي غير مفسر."

بعد الدفن، لاحظ "ميسون" أن بعض المياه في أواني المعسكر بدأت تتغير رائحتها، وصارت لها نكهة معدنية غريبة.

مع مرور الأيام، بدأ أعضاء الفريق يحلمون بأحلام متشابهة: مدينة غارقة تحت الماء، شوارعها مليئة بجثث متحجرة، وفي وسطها كائن هائل بلا وجه، يقف على أربعة أطراف، ويصدر همهمة عميقة تهزّ المياه.

كتب "ميسون" في مذكرته: "في الليلة الخامسة، استيقظت لأجد أرضية خيمتي مبتلة بالكامل، رغم أننا في منطقة جافة، والماء له نفس الطعم المعدني من البركة."

في اليوم السادس، قرر "ميسون" سحب الفريق، لكن قبل مغادرتهم النفق، سمعوا صوت هدير قادم من الحجرة الرئيسية، تبعته موجة من الماء الأسود اندفعت نحوهم.

تمكنوا من الهرب بصعوبة، لكن الحارس "عم جرجس" اختفى وسط الموجة، ولم يُعثر له على أثر.

حين خرجوا إلى السطح، لاحظوا أن البحر القريب من الأنفوشي صار مضطربًا بشكل غير طبيعي، مع دوامات دائرية تتشكل وتختفي.

في الليلة التالية، كتب "ميسون" آخر مذكراته قبل اختفائه:

"أدركت الآن أن ما وجدناه ليس قبرًا ولا معبدًا، بل بوابة. ما في الأسفل لا ينتمي للبشر ولا للآلهة التي نعرفها. هو شيء أقدم من المدينة نفسها، شيء يكره النور ويتغذى على الأسماء. لقد بدأ يناديني باسمي... في الحلم، وفي صوت الأمواج."

بعد هذه الليلة، اختفى "ميسون" من خيمته. لم يشاهد أحد عملية مغادرته، لكن أحد العمال قال إنه سمع خطوات ثقيلة تتجه نحو البحر.

ظل الصندوق الذي يحتوي على المذكرات مخفيًا في قبو قديم حتى عام ٢٠٠٨، ربما وضعه شخص ما من المكتبة القديمة هناك لإخفاء القصة.

الغريب أن الصور الفوتوغرافية التي كانت مع المذكرات تُظهر المدخل الحجري بوضوح، لكن في الخلفية، قرب البركة السوداء، هناك ظل طويل، أطرافه ممتدة على الأرض والماء معًا... أطول من أي إنسان.

علماء الآثار الذين فحصوا الموقع في عام ٢٠٠٩ لم يجدوا أي أثر للنفق أو البركة، وكأن البحر ابتلعها.

في السنوات الأخيرة، بدأ صيادو الإسكندرية يتحدثون عن مناطق في البحر القريب حيث تختفي الشباك فجأة، أو تُعاد

إليهم ممزقة بطريقة غريبة، ومعها رائحة معدنية خانقة. بعضهم أقسم أنه سمع تحت الماء صوت همهمة عميقة لا تُشبه أصوات السفن أو الأمواج.

وأحد الغواصين المستقلين، الذي حاول الغوص في تلك المنطقة عام ٢٠١٦، لم يخرج حيًا... وعندما أخرجوا جسده، كانت بشرته مغطاة بطبقة ملح أبيض، تمامًا كما وُصف في وفاة العامل سنة ١٩٢٤.

القصة كما روتها المذكرات لا تجد قبولًا عند كثير من الباحثين، لكن تكرار الظواهر الغريبة في نفس المنطقة، وفقدان أشخاص بطرق مشابهة، يجعل من الصعب تجاهل فكرة أن تحت أرض الإسكندرية القديمة، هناك شيئًا ما... لم يُغلق عليه جيدًا.

قرية "إيردون"
الحكاية التي لا ينبغي أن تُروى

في صباح شتوي من عام ١٩٨٧، كان عالم الجغرافيا الأسترالي "دانيال هايز" يقود سيارته عبر الطرق الوعرة في منطقة "كيمبرلي" شمال غرب أستراليا، باحثًا عن بقايا مستوطنات قديمة تعود إلى القرن التاسع عشر. وبينما كان يفتش في بقايا كوخ حجري متهدم، عثر على صندوق معدني صدئ، مقفل بقفل قديم مهترئ.

فتح الصندوق، ليجد داخله دفاتر صغيرة مبللة جزئيًا، مكتوبة بخط يدوي متعرج. كانت الصفحات خليطًا من الإنجليزية القديمة وبعض الجمل بلغة السكان الأصليين.

الأمر المريب أن آخر صفحة مؤرخة كانت في مارس ١٩٢٢، بعدها توقفت الكلمات فجأة... كأن الكاتب لم يتمكن من إكمال الجملة الأخيرة.

احتوت الدفاتر على شهادة رجل يُدعى "جوناثان كراوثر"، أحد موظفي البريد الذين زاروا قرية تدعى "إيردون" — قرية لم يجد لها "هايز" أي أثر في الخرائط أو السجلات الرسمية.

ومن هنا بدأت الحكاية...

كتب "جوناثان" في مذكراته:

"تلقيت أمرًا من الإدارة لإيصال الطرود إلى قرية إيردون، التي تقع على بعد يومين سيرًا عن أقرب خط للسكك الحديدية. قالوا إنها صغيرة، يسكنها خليط من المستوطنين البيض وبعض السكان الأصليين. الغريب أنني لم أسمع بها من قبل، رغم عملي في هذا المجال منذ سبع سنوات."

كانت رحلته إلى القرية صعبة، إذ سار بين أراضٍ صخرية وأدغالٍ كثيفة، وفي الليل كانت أصوات غريبة تملأ الجو، ليست أصوات حيوانات يعرفها، بل همهمات منخفضة تشبه تلاوة كلمات غير مفهومة.

القرية التي لا تُشبه القرى

عندما وصل، لاحظ "جوناثان" أن القرية غريبة الشكل. الأكواخ كانت مبنية بطريقة غير مألوفة في أستراليا؛ أسقفها مخروطية، وجدرانها مزينة برموز محفورة، تشبه رسوم الكهوف القديمة لكن بطريقة أكثر تعقيداً.

أهالي القرية كانوا قليلين في العدد، بوجوه شاحبة وعيون غائرة، وكأنهم لا ينامون.

لم يبتسم أحد في وجهه، بل كانوا يتوقفون عن الحركة وينظرون إليه بصمت كلما مر أمامهم.

الشيء الأكثر غرابة أن القرية لم يكن لها أي حيوانات... لا دجاج، لا كلاب، لا ماشية.

حتى الطيور كانت تتجنب الطيران فوقها.

تحذير الشيخ

في الليلة الأولى، دعاه شيخ القرية العجوز إلى كوخه. اسمه كان "مارو"، وله بشرة داكنة ووشوم غريبة تغطي ذراعيه.

قال له بصوت مبحوح:

"لا تبقَ هنا بعد اكتمال القمر. ما يسكن تحت الأرض لا يرحم الغرباء."

وعندما سأله "جوناثان" عن المعنى، تجاهل السؤال وأعطاه خريطة صغيرة لطريقٍ مختصر يخرج من القرية.

في الليلة الثانية، وبينما كان نائمًا في الكوخ الذي استأجره، استيقظ "جوناثان" على اهتزاز خفيف في الأرض، يرافقه صوت قادم من الأعماق... كأن شيئًا ضخمًا يتحرك أسفل القرية.

ثم بدأ يسمع طرقات على أرضية الكوخ الخشبية، بطيئة في البداية، ثم أسرع فأسرع، حتى توقفت فجأة.

خرج في الصباح ليسأل أهل القرية، لكنهم أنكروه، بل حذره بعضهم من إثارة الأسئلة.

ليلة الاختفاء الأول

في اليوم الثالث، لاحظ أن أحد الأكواخ أُغلق بإحكام، والناس يتجنبون النظر نحوه.

بالمساء، رأى رجلين يجران كيسًا كبيرًا يقطر منه سائل داكن نحو بئرٍ قديم وسط القرية.

وعندما سأل أحدهم عن الأمر، اكتفى الرجل بالقول:

"إنه طُعم... الطُعم لئلا نصبح نحن الطُعم."

في تلك الليلة، حلم "جوناثان" بأنه يقف وسط القرية، والأرض من تحته تتحول إلى ما يشبه جلدًا أسود لامعًا، يتنفس ويرتجف.

رأى وجوهًا كثيرة تخرج من هذا الجلد، أفواهها مفتوحة تصرخ بلا صوت، قبل أن تبتلعه الأرض فجأة.

استيقظ وهو يلهث، ليجد آثار طين أسود على قدميه وملاءته، رغم أن الأرض كانت جافة في الخارج.

بحسب المذكرات، جاء اكتمال القمر في الليلة الرابعة لوصوله. القرية كانت هادئة بشكل مريب، والأهالي اختفوا داخل أكواخهم، وأغلقوا النوافذ بالألواح الخشبية.

عند منتصف الليل، بدأ هدير عميق يهز الأرض، تلاه تشقق في التربة أمام كوخه.

ومن بين الشقوق، خرجت أذرع طويلة مغطاة بقشور لامعة، تنتهي بأصابع حادة كالمخالب. كانت تتحرك بسرعة غير طبيعية، وتخطف أي شيء تصادفه.

سمع صرخات من الأكواخ الأخرى، ثم صمت مفاجئ. بعدها، شيء ضخم للغاية -لم يتمكن من وصفه بالكامل- ارتفع من جوف الأرض... كيان بلا ملامح واضحة، جسده يتغير شكله باستمرار، كأنه كتلة من الظلال واللحم الملتوي.

أدرك "جوناثان" أن عليه الهرب فورًا. ركض باتجاه الطريق الذي رسمه له الشيخ "مارو"، لكنه توقف فجأة عندما رأى الشيخ نفسه واقفًا هناك، ووجهه مغطى بطين أسود يتساقط من عينيه وأنفه، وهو يهمس:

"أنت الآن تحمل لعنتهم معك..."

ثم سقط أرضًا بلا حراك.

نجح "جوناثان" في الخروج من القرية، لكن المذكرات لم تذكر كيف فعل ذلك. الصفحات التالية كانت مبللة ومشوهة، وفيها جمل مقطوعة مثل:

"لا أحد سيصدق... لكنهم سيبحثون عني..."

"إنها ليست قرية، إنها فم..."

بعد مارس ١٩٢٢، لا يوجد أي أثر لـ"جوناثان كراوثر" في السجلات. لم يعد إلى عمله، ولم يظهر اسمه في أي قوائم للوفيات.

الأغرب أن أي بعثة حاولت العثور على قرية "إيردون" بعد ذلك لم تجد شيئًا. الأرض كانت فارغة، كأن شيئًا محا كل أثرٍ لها... لا أطلال، لا بئر، لا طرق ترابية.

ومع ذلك، بعض السكان الأصليين في "كيمبرلي" ما زالوا يرفضون السير في تلك المنطقة، ويطلقون عليها اسمًا يعني "أرض الجائعين تحت التراب".

"هايز" — مكتشف المخطوطة — حاول نشرها في مجلة علمية، لكن بعد أسبوعين من إرسالها بالبريد، تعرض منزله لحريقٍ غامض أتى على كل مقتنياته، بما في ذلك الصندوق المعدني.

النسخة الوحيدة التي نجاها كانت نسخة مصوَّرة كان قد أرسلها إلى صديقه في "سيدني"، لكنها اختفت من مكتب البريد في ظروفٍ مجهولة.

لعنة عزبة أبو النور

تقرير خاص -جريدة الأخبار- عدد يوليو ١٩٧٧
إعداد: سامي الشناوي - محرر التحقيقات الميدانية

القرية اسمها "عزبة أبو النور"، تبعد حوالي ١٥ كيلومترًا عن مدينة المنيا، وكانت حتى منتصف السبعينات قرية هادئة جدًا. لا فيها جرائم، ولا فيها حوادث تُذكر.

لكن في صيف سنة ١٩٧٤، حصلت حاجة محدش قدر يفسرها لحد النهارده... حاجة قلبت حياة القرية جحيم حقيقي.

كل حاجة بدأت لما "أم فتحي"، ست كبيرة أرملة، قررت تبيع بيتها القديم وتشتري بيت تاني في طرف البلد.

البيت الجديد كان معروف بين الأهالي باسم بيت الغُفران. محدش سكنه من سنين، وكان معمول زمان بالحجر الأبيض، وفيه بير ميّه في الحوش الخلفي.

الناس كانت بتقول إن صاحبه الأول مات غريق في البير، وبعدها أي حد يحاول يعمّر فيه بيحصل له مصايب غريبة.

بس "أم فتحي" قالت:

"مفيش حاجة اسمها أرواح ولا سحر، دي خرافات.. البيت حلو وهيبقى لعيالي لما يتجوزوا."

اشترت البيت وسكنت فيه مع بنتها "سعاد" وابنها "فتحي" اللي كان عنده ١٨ سنة.

بعد أيام قليلة من سكنهم، الجيران بدأوا يسمعوا أصوات غريبة بالليل، زي أنين أو زغاريط مكتومة طالعة من ناحية بيت "أم فتحي".

في الأول قالوا يمكن صوت راديو أو غُنا من بعيد، بس اللي خلى الناس تتأكد إن في حاجة غلط إنهم سمعوا نفس الأصوات في عزّ الضهر، لما مفيش لا كهربا ولا أجهزة شغالة.

"أم فتحي" كانت بتقول إن البير بيطلع منه ريحة كريهة كل يوم جمعة قبل المغرب، فكانت ترش جير حوالينه وتقرأ قرآن.

لكن بعدها بشهر، بدأت "سعاد" بنتها تشتكي إنها بتشوف "ست لابسة إسود" قاعدة عند البير بالليل.

شهادة "حمدي السقا"، شيخ الغفر

"أنا شُفت بعيني يا أستاذ سامي.. كنت مريت بالليل وأنا راجع من النبطشية، لقيت نور خفيف طالع من البير، وسمعت حد بيهمس كأنه بيقرى طلاسم. وقبل ما أقرب، النور اختفى.. تاني يوم "أم فتحي" جت بتعيط، قالت لي البير بيغلي لوحده والمياه بتفور."

أهالي القرية وقتها راحوا لشيخ الجامع، وقالهم إن ممكن يكون فيه عمل مدفون في البير.

راحوا فعلًا معاه يوم الجمعة، ونزل شاب اسمه "مصطفى النحاس" يحاول يشوف إيه جوه البير...

لكن لما طلع، وشه كان أبيض زي الورق، وقال:

"في حاجة تحت... مش بشرية... في حاجة بتتحرك جوه الميّه."

البيت بدأ يطلع منه صوت جرس كل يوم الساعة ٣ الفجر.

صوت جرس نحاسي زي بتاع الأديرة القديمة، ومفيش في البيت أصلًا أي جرس.

الناس كانت بتسمعه من بعيد، و"أم فتحي" بتقسم إنهم مش سامعين حاجة.

بعدها، فتحي اتغيّر تمامًا.

بقى يقعد لوحده في الأوضة السفلية، ومش بيتكلم مع حد.

سعاد حكت بعدين إن أخوها بدأ يكتب كلام غريب في ورق، زي رموز وطلاسم، ويقول إنه "بيتعلم علم السُفلي علشان يطرد اللي في البير".

الجمعة ١٩ يوليو ١٩٧٤، كل القرية اتجمعت قدام بيت أم فتحي بسبب صراخ طالع من جوه.

الناس لما دخلت لقوا سعاد مرمية في نص الحوش، ووشها كله سخام، وشعرها محروق من قدام.

أم فتحي كانت في الركن بتعيط وبتضرب في نفسها، وفتحي كان واقف عند البير بيضحك بصوت عالي، وبيقول:

"أنا شُفتهم! خرجوا خلاص! الميثاق تم!"

الشرطة جات، أخدوه على المستشفى العقلي، لكن قبل ما يطلعوه من البيت قال كلمة سجلها عسكري كان حاضر:

"البيت ليهم.. محدش يفتحه تاني."

البيت اتقفل بالشمع الأحمر، والنيابة قالت إن البنت ماتت بحروق غامضة بسبب "تفاعل كيميائي" مجهول.

بس الغريب إن البير لسه بيطلع بخار كل يوم جمعة قبل المغرب. وكل اللي حاول يشتري البيت أو يقرّب منه، كان بيحصله مصيبة:

واحد من العمال اللي كسر القفل مات بعد يومين في حادث جرار.

واحد تاني وقع في غيبوبة بعد ما شاف "ست واقفة على الميّه" جواه.

والشيخ اللي راح يقرأ قرآن جوا البيت في ١٩٨٠، مات بعد أسبوعين بأزمة قلبية وهو نايم.

تقرير الطب الشرعي

(مقتطف من ملف رسمي رقم ١٩٧٤/٣١٢):

"جسد المتوفاة سعاد فتحي مصطفى — ١٦ سنة — وجد به آثار احتراق سطحي غير ناتج عن لهب عادي. مصدر الحرارة غير محدد. لا توجد أي مواد قابلة للاشتعال في المكان. السبب المرجح: تفاعل طاقي مجهول."

في منتصف التمانينات، شيخ صعيدي مشهور اسمه الشيخ عرفة المغربي سمع بالقصة، وقرر يروح بنفسه يحاول يطهر المكان.

دخل البيت مع اتنين من مريديه، وقعدوا لحد نص الليل يقروا تعاويذ.

الناس برا سمعت صوت صرخة مدوية، وبعدها النور في القرية كلها فصل لحوالي ٥ دقايق.

ولما رجع، لقوا الشيخ مُغمى عليه، وتاني يوم لما فاق قال جملة واحدة:

"البيت مربوط بدم... واللي فكّه مات."

من بعدها، محدش قرّب.

البيت دلوقتي خرب، بس الأهالي بيقولوا إن في ليالي الصيف، خصوصًا في نص شعبان، البيت بينوّر لوحده كأن فيه لمبة قديمة شغالة جواه، وبيتسمع صوت الجرس تاني.

في سنة ١٩٩١، اتسجلت حالة جديدة باسم فتحي مصطفى عبد السميع، نفس الولد اللي كان في البيت.

كان عمره وقتها ٣٥ سنة، واتكتب في التقرير الطبي إنه "يهذي بكلمات عن بير وميثاق وقرابين".

وقبل ما يموت بشهر، قال للممرضة:

"أنا رجّعتهم تاني... والبيت جاهز."

حادثة حوش الجِمال

تقرير: مجدي البدري

جريدة صوت الصعيد، عدد نوفمبر ١٩٧٨

من قرية بسيطة تابعة لمحافظة أسيوط

القرية دي يا جماعة كانت هادية جداً، أغلب أهلها فلاحين وبيزرعوا قطن وذرة.

لكن في نهاية السبعينات، اتقلب حالها بسبب بيت واحد بس، بيت قديم معروف عند الناس باسم حوش الجِمال.

البيت ده كان في الأصل إسطبل كبير تابع لراجل غني زمان اسمه الخواجة فرج عبد الدايم، وكان بيخزن فيه جماله وحيواناته.

بعد ما مات، فضل الحوش مهجور سنين طويلة، لحد ما سكنت فيه ست اسمها زينات الرفاعي...

وهي دي بداية المصيبة كلها.

زينات كانت أرملة في أواخر التلاتينات، وست معروفة إنها "بتفك أعمال" وتعمل زار للستات اللي عندهم مس أو تعب.

كانت بتتعامل مع حاجة بتسميها "الست سَلمى"، وبتقول إنها روح طيبة بتيجي تساعدها.

الناس كانت بتروح لها من القرى التانية عشان تعالجهم.

بس في شهر أكتوبر سنة ١٩٧٨، حصل أول بلاغ رسمي من جارتها سنية عبد الدايم، قالت إنها سمعت صريخ وطبول طول الليل، وإن النور في بيت زينات كان مولّع كله لحد الفجر.

ولما راحت تشوفها الصبح، لقتها قاعدة في نص الحوش، وشها كله دم، وإيديها مليانة طلاسم مرسومة بالحنّة والسخام.

العمدة والضابط راحوا البيت، لقوا فعلاً دم على الأرض، وكأن فيه ذبيحة كبيرة اتدبحت، بس مافيش جثة.

زينات قالت بهدوء وهي مبتسمة:

"ده الزار خلص.. بس في واحد من الجن ما خرجش."

الكلام اتسجل في محضر رسمي، لكن محدش صدّقها وقتها.

بس بعدها بيومين، الطبل رجع تاني بالليل، والصوت بقى أقوى من الأول، والناس بقت تسمعه في نص البلد.

شهادة "عبد الرحيم العطار" — جارها من الناحية التانية:

"أنا كنت سامعهم كل يوم بيغنوا وبيضربوا طبلة.. بس اللي خوفني إن في الليلة التالتة سمعت صوت راجل بيزعق من جوه الحوش.. بيقول (سِيبيني يا كافرة)! وبعدها الدنيا سكتت فجأة."

تاني يوم، لقوا كل الجمال اللي كانت مربوطة في الحوش ماتت، وعيونها مفتوحة كأنها شافت حاجة مرعبة.

البيطري قال "تسمم"، بس الناس كلها كانت بتقسم إن دي مش موتة طبيعية.

زينات جمعت مجموعة ستات وقالت إنها لازم "تختم الزار" عشان تريح الروح اللي اتحبست.

الستات اللي حضروا قالوا إنهم كانوا حوالي ١٢ واحدة، وإنهم فعلاً شافوا الهواء بيتقل جوه الحوش، والنور بقى أحمر، والطبلة بقت تضرب لوحدها من غير ما حد يلمسها.

واحدة منهم اسمها صباح عبد المجيد قالت في التحقيق بعدين:

"فيه دخان طلع من الحيطة، وظهر منه وشّ ست سودة، قالت لزينات بصوت راجل: (الدم ناقص.. الميثاق ناقص). وساعتها الست وقعت على الأرض."

بعد الحادثة بيومين

لقوا زينات ميتة جوه الحوش، نايمة على ضهرها، وشها مبتسم، وحوالين رقبتها حبل معمول من شعر بني آدم. الموضوع اتحول لقضية رسمية، لكن الطبيب الشرعي كتب في التقرير:

"الوفاة طبيعية -هبوط حاد في الدورة الدموية نتيجة صدمة نفسية."

لكن الغريب إن كل الستات اللي حضروا الزار بعدها ماتوا في خلال ٦ شهور، وكل واحدة في حادث غريب:

واحدة غرقت في الترعة، واحدة ماتت حرقًا في مطبخها، والتالتة اختفت فجأة لما كانت رايحة السوق.

محاولة فتح الحوش من جديد:

بعد أربع سنين، المحافظ قرر يهدم البيت ويحوّله لمخزن قطن، جابوا عمال من خارج القرية عشان الناس كانت رافضة

تدخل، أول ما بدأوا في الهدم، لقوا تحت البلاط صندوق نحاس صغير عليه ختم غريب.

عامل اسمه سيد كرم فتح الصندوق، لقى جواه قطة سودة ميتة ملفوفة بقماشة فيها شعر ست. من ساعتها، العمال رفضوا يكملوا، وقالوا إن الصندوق بيتحرّك لوحده كل ما ييجوا تاني يوم.

شهادة المهندس المنفذ — في تقرير رسمي سنة ١٩٨٣:

"توقفت أعمال الهدم في حوش الجمال بعد حوادث متكررة، منها سقوط عامل من فوق السقالة دون سبب واضح، واشتعال النار في الأدوات ليلاً.

الموقع تم إغلاقه، ووُضعت لافتة تحذيرية بعد توصية من لجنة الأوقاف."

البيت ما اتهدش. بقى مهجور، بس كل سنة في شهر نوفمبر -نفس الشهر اللي ماتت فيه زينات- الناس بتسمع صوت

طبلة خفيفة جاية من جوه الحوش وقت العِشاء. ولو حد حاول يقرب أو يصور، بيتعب بعدها.

شاب من القرية اسمه رمضان أبو جابر حاول يصور فيديو سنة ٢٠٠٩، وقال بعد ما رجع:

"الطبلة ضربت لوحدها، والباب اتقفل من ورايا، وسمعت صوت بيقول: (الدم ناقص يا زينات...)."

بعدها تعب نفسيًا ودخل مستشفى الأمراض العصبية في أسيوط أسبوعين.

التقرير الأخير — من دفتر الشرطة المحلية (١٩٨٥):

"تم تسجيل أربع بلاغات عن أصوات مجهولة وانبعاث روائح بخور في المنطقة المجاورة لما يُعرف بحوش الجمال."

كل المحاولات لفحص المكان فشلت بسبب انهيار جزء من السقف أثناء المعاينة. لم يتم استكمال التحقيق.

"كوخ فالدنهايم"
رعب الريف الألماني

تقرير مترجم من جريدة "Die Stimme"

عدد مارس ١٩٧٧

إعداد: سامي الشناوي، نقلًا عن مراسل الصحيفة في ولاية بافاريا، ألمانيا الغربية.

في قلب الريف الألماني، على بُعد ٤٠ كيلومتر من ميونخ، فيه قرية صغيرة اسمها فالدنهايم.

قرية هادية جدًا، مزارع أبقار وغابات وشلال صغير، والناس هناك معروفين بالهدوء والالتزام. بس سنة ١٩٧٦، حصلت حاجة خلت الشرطة الألمانية نفسها تعجز عن تفسيرها. حادثة بيت اتسمّى بعد كده:

"كوخ فالدنهايم" — أو زي ما الأهالي بقوا يقولوا: "بيت اللعنات."

في شهر يناير ١٩٧٦، وصلت عيلة ألمانية بسيطة اسمهم عيلة "شتاينر"، أب وأم وطفلتهم الصغيرة اللي عندها ٧ سنين، اسمها "إيفا". اشتروا كوخ خشب قديم في أطراف الغابة، عشان يعيشوا بعيد عن المدينة، بعد ما الأب تعب من الشغل في المصانع.

الكوخ كان مهجور من سنين، وآخر اللي سكنوا فيه كانت ست عجوز اسمها مارغريت هولزر، ماتت لوحدها في ظروف غامضة سنة ١٩٥٩. لكن الجيران قالوا إن الكوخ كويس، وكل اللي فيه بس "برودة غريبة" حتى في عزّ الصيف.

المدام "إيلينا شتاينر" بلّغت الشرطة بعد أسبوعين من السكن إن بنتها الصغيرة "إيفا" بقت بتتكلم مع "صاحبتها الجديدة" اللي بتقول إنها "عايشة في الغرفة التانية".

قالت الأم إن البنت كانت بتسمع صوت طفلة تانية بتغني بالألماني القديم، كلامها مش مفهوم، وبتحط دايمًا كرسي فاضي على السفرة.

الأب ضحك وقال:

"خيال أطفال... العزلة مأثرة عليها."

لكن بعد كام يوم، كل العيلة سمعت الصوت. كان فعلاً فيه صوت بنت صغيرة بيغني في أوضة إيفا بالليل، ولما فتحوا الباب... مفيش حد.

تقرير شرطة فالدنهايم – فبراير ١٩٧٦:

"تم إرسال دورية إلى منزل عائلة شتاينر بعد تلقي بلاغ عن أصوات أطفال في الليل. لم يُلاحظ وجود أحد في المكان. تم تسجيل انخفاض شديد في درجة الحرارة داخل الكوخ عن الخارج بمعدل ٨ درجات."

الأب قرر يحط كاميرا بولارويد عشان يثبت إن بنتهم بتتخيل. فعلاً صورها وهي قاعدة لوحدها بتتكلم مع الكرسي، لكن لما اتحمضت الصورة، ظهر وراها وش بنت تانية شعرها طويل وعينيها سودا، وش مش طبيعي... كأنه مرسوم بالرماد.

الأب بعدها ساب البيت كام يوم ورجع مع قسّيس القرية، اسمه الأب "هانز". القس قال إن الكوخ مبني على أطلال كنيسة من القرن الـ١٧ كانت بتتعمل فيها طقوس وثنية. ولما ماتت مارغريت اللي كانت ساكنة فيه زمان، اكتشفوا إنها

كانت بتحاول "تستدعي بنتها الميتة" عن طريق طقس سفلي قديم اسمه Kinderseele – روح الطفل.

بعد أسبوع، الجيران بلغوا عن ضوء أحمر بيطلع من الكوخ بالليل. وقالوا إنهم سمعوا صوت طبلة خفيفة، وصوت طفل بيضحك. الشرطة لما راحت، لقوا البيت كله فاضي. إيفا مش موجودة، والأب والأم في حالة هستيريا.

الأب بيصرخ:

"هي خَدَتها! قالتلي إنها رجّعت بنتها ومش محتاجة بنتي!"

الأم اتنقلت لمستشفى الأمراض النفسية في ميونخ، وقالت في التحقيق:

"البنت اللي في الصورة خرجت... مسكت إيد إيفا ودخلت الحيطة."

التقرير الجنائي الرسمي (رقم ١٩/١٩٧٦):

"لم يتم العثور على الطفلة إيفا شتاينر حتى بعد حملة تفتيش شملت الغابة والمناطق المحيطة.

لا يوجد أثر مادي لأي عملية اختطاف أو هروب.

وُجدت على الجدار الداخلي لغرفة الطفلة رموز دائرية مطلية بدماء طازجة، رغم أن العائلة كانت خارج المنزل لأكثر من ٢٤ ساعة."

الكوخ اتقفل، والشرطة الألمانية صنّفته "مكان خطر نفسي".

لكن القس هانز رفض يسيبه، ورجع بعد شهر ومعاه تلات رهبان، دخلوا الكوخ يقيموا صلاة تطهير، وكانوا بيسجلوا بالصوت. اللي اتسجّل اتحفظ في أرشيف الكنيسة، لكنه اتسرب سنة ١٩٩٣...

والتسجيل كان فيه صوت واضح لبنت بتقول بالألماني:

"أنا مش لوحدي... البنت رجعتلي."

في الصيف، ست عجوز اسمها هيلغا براون كانت ساكنة قريب من الكوخ، قالت إنها شافت من شباكها طفلتين صغيرتين بيلعبوا حوالين الكوخ، واحدة لابسة فستان أبيض، والتانية رمادي. ولما نادت عليهم، البنتين وقفوا، وبصّوا لها مع بعض... وبعدها اختفوا وسط الضباب.

ملف القضية اتقفل على إنها "اختفاء طفلة قاصر في ظروف غير طبيعية."

لكن في سجل الشرطة الداخلي، كتب الضابط "هانز فريتز" جملة واحدة بخط إيده:

"الكوخ مش مهجور... هو لسه بيستقبل أطفال."

حادثة آشلي كانساس

القصة اللي هتسمعها دي حقيقة، وأغرب من مليون حقيقة، وأغرب من أي فيلم رعب ممكن السينما تصوره في يوم.

قصة العلم ما زال بيحاول يلاقيلها تفسيرات دون جدوى.

حادثة "آشلي كانساس"، من أغرب الحوادث الغير طبيعية، حيث وقع الحادث المرعب في ١٧ أغسطس عام ١٩٥٢، في بلدة آشلي، ولاية كنساس الأمريكية، مجتمع زراعي، تربط أفراده علاقات دافئة، مكون من نحو ٧٠٠ شخص.

في ذلك اليوم الصيفي المشؤوم، اختفى كل رجل وامرأة وطفل في آشلي، فيما يمكن وصفه بأنه "بروفة مصغرة لنهاية العالم"، فوفقًا لهيئة المسح الجيولوجي الأمريكي، فإن المدينة ربما كانت تقع مباشرة فوق مركز الزلزال الهائل الذي حدث يومها وبلغت قوته ٧.٩ درجة بمقياس ريختر.

بالنظر إلى مكان المدينة، استغرق الأمر بعض الوقت حتى تصل قوات الطوارئ إلى المكان؛ استجابة لنداءات الاستغاثة، لكن عندما وصلت تلك الفرق، بدا أن أي استجابة لم تكن سريعة بما فيه الكفاية؛ لأن بلدة آشلي بأكملها قد اختفت بالفعل.

الاختفاء هنا لا يعني موت السكان، بل اختفاء المباني، شوارع المدينة، والسيارات والحيوانات، كما لو أن بوابة انفتحت وابتلعت كل شيء، ووصف أولئك الذين وصلوا إلى مكان الحادث أنهم لم يروا أي شيء من "آشلي" عدا آثار حرق على شكل فجوة طولها ١٠٠٠ متر، وعرضها ٥٠٠ متر، وعمقها غير محدد.

لم تثمر أي من عمليات الإنقاذ، رغم أن فرق الطوارئ أمضت ما يقرب من أسبوعين في محاولة لتحديد أي علامة على الحياة داخل تلك الهوة المتفحمة التي كانت في وقت من

الأوقات مدينة، وقرر المسؤولون في يوم ٢٩ أغسطس إيقاف مهمات البحث، وبما أنه لم يتم استرجاع أي جثة، حية أو ميتة، من الحفرة التي تم منحها لقب "حفرة الجحيم المدخنة"، اُعتبر أن جميع السكان موتى ابتداءً من ٣٠ أغسطس.

ما سبق كان مقدمة القصة:

بعد يوم واحد فقط من وقف عمليات الإنقاذ الفاشلة، في الساعة ٢:٢٧ صباحًا، ضرب زلزال آخر بنفس القوة الموقع ذاته، وعادت فرق الطوارئ إلى مكان الحادث بسرعة استجابة أكبر، ولكن عندما وصلوا، شهدوا شيئًا لا يصدق، الفجوة العملاقة التي بدا أنها ابتلعت المدينة أغلقت نفسها.

بما أنه لم يكن هناك ناجٍ من كارثة آشلي ليروي الحادث المرعب، فإن جميع الوثائق تقريبًا تأتي من مسؤولي إنفاذ القانون، والصحفيين من بلدة هايس القريبة.

والجانب الأكثر غرابة من القصة هو أن معظم سجلات الكارثة من تلك المصادر في هايس تم حجبها عن وسائل الإعلام، وبالطبع، أثار هذا عددًا لا بأس به من نظريات المؤامرة.

حقيقة أم شائعات؟

شملت الأقاويل التي خرجت من هايس، والمناطق المحيطة ببلدة آشلي، حديثًا عن ظواهر غريبة في الأسابيع التي سبقت الكارثة، بما في ذلك شذوذ في الغلاف الجوي يشبه البرق المستمر، وفتحات سوداء في السماء، وجميع الطرق الموصلة إلى آشلي لا تقود إليها.

وفي أقاويل أخرى ينتهي الحال بالسائق إلى العودة إلى وجهته الأصلية، والكلام الأخير تحديدًا جاء على لسان ضابط شرطة هايس، آلان ماسي، الذي حاول الوصول إلى حدود مدينة آشلي ليجد نفسه عائدًا نحو هايس، وزعم بعض سكان هايس أنهم شاهدوا أو سمعوا أو عقدوا محادثات مع أفراد من آشلي، رغم أن أحدًا منهم لم يتم مشاهدته منذ ذلك الصباح المشؤوم في أغسطس.

دليل مخيف:

هذه القصة برمتها لا دليل عليها باستثناء أمر واحد فقط، تم تسريبه من قسم شرطة هايس، وهو عبارة عن نسخة من محادثة هاتفية، يتضح في صوت المتصلة الرعب والخوف، وتم التعرف عليها على أنها "إبريل فوستر".

تلقى الاتصال الضابط "بيتر ويلش" من شرطة هايس، ووصفت "إبريل" في الاتصال كيف أن كل واحد من سكان آشلي الـ ٦٧٩ قد شوهدوا وهم يخرجون من حريق غامض، يبدو أنه يأتي من صدع في الأرض كان قد استهلك المدينة، ولم يشهد أي شخص الحريق أو يبلغ عنه خارج آشلي.

أغرب شيء في تلك المحادثة كان التاريخ، وهو ١٥ أغسطس ١٩٥٢، أي قبل يومين من الزلزال.

وهذه نسخة مختصرة من الاتصال

الضابط بيتر ويلش: قسم شرطة هايس، مرحبًا؟

إبريل فوستر: نعم... نعم، مرحبًا؟

بيتر: سيدتي، مع من أتحدث؟

إبريل: اسمي إبريل، إبريل فوستر، رجاءً سيدي... رجاء ساعدني.

بيتر: ماذا يحدث يا سيدتي؟

إبريل: الليلة الماضية... الليلة الماضية عادوا.

بيتر: سيدتي، سأحتاج منكِ...

إبريل: لقد عادوا الليلة الماضية، لا، لا.

بيتر: سيدتي، أريدكِ أن تهدئي وتتكلمي بوضوح، ماذا حدث؟ من عاد؟

إبريل: الجميع.

بيتر: الجميع؟

إبريل: جميعهم دخلوا في النار.

بيتر: ماذا تعنين بالجميع؟

إبريل: ابني، لقد رأيت ابني ليلة أمس، كان يسير، كان يسير في الشارع، لقد احترق، يا إلهي، لقد احترق.

بيتر: سيدتي، أنا...

إبريل: لقد مات العام الماضي، لقد ربيته منذ أن كان طفلًا، كنا فقط أنا وهو، أخبرته أن يراقب السيارات عندما يركب دراجته، لكنه لم يستمع أبدًا.

بيتر: سيدتي، ما تقولينه ليس منطقيًا، قلتِ إن الجميع عادوا؟

إبريل: هل تستمع إلي؟ الجميع، لقد عاد الجميع، كل من مات أو فُقد عاد، وهو قال: (أمي، أنا بخير الآن، هل ترين؟ يمكنني المشي مجددًا، أريد أن أراكِ).

بيتر: سيدتي، أين أنتِ الآن؟ هل أنتِ بأمان؟

إبريل: أنا أختبئ، مثل أي شخص آخر، رأيناهم يأتون من خلال الحقول... و... بعض الناس فتحوا أبوابهم لهم، لا أعرف ماذا حدث لهم، لكن منازلهم اشتعلت فيها النيران، أنا أختبئ في الخزانة الآن و...

بيتر: سيدتي، هل كل شيء على ما يرام؟ هل أنتِ بخير؟

(صمت)

بيتر: سيدتي؟

(صوت كسر زجاج، ثم صوت إبريل): لقد دخل شيء ما.

بيتر: سيدتي، ابقي هادئة بقدر ما تستطيعين، لا تصدري أي صوت.

إبريل: لا، لا، لقد أتى إلى الداخل.

بيتر: ابقي ساكنة تمامًا، لا تغادري.

(صوت من جهة إبريل): أمي، أين تختبئين؟

ثم خطوات ثقيلة تلاها صوت ضحكات و"لقد وجدتكِ"، ثم صراخ وضجيج لا يمكن تمييزه، وانتهت المكالمة.

حقيقة أم خيال؟

من المؤكد أنها ليست القصة الأولى التي تتحدث عن مدينة تختفي في ظروف غامضة بين عشية وضحاها، وعدد قليل من تلك الأساطير لها في الواقع جذور في الوقائع التاريخية، منها "المستعمرة المفقودة" لجزيرة روانوك في القرن السادس عشر، حيث اختفى منها ٢٥٠ مقيمًا، ولا زال اختفاؤهم لغزًا، وهناك أيضًا حادثة قرية نيو سيتي في نيو جيرسي في القرن التاسع عشر، حيث أصبحت خاوية على عروشها، ويُطلق عليها الآن "زقاق الشيطان".

مشرحة سانت جيمس

"الطبيب اللي رجع من الموت مرتين"

تقرير رعب حقيقي من أرشيف لندن:

"مشرحة سانت جيمس"، الطبيب اللي رجع من الموت مرتين

إعداد: م. عادل - عن وقائع حقيقية حدثت في لندن، خريف ١٩٩٦

(المصدر الأصلي: جريدة "The Guardian" - قسم التحقيقات الخاصة)

سنة ١٩٩٦، في مستشفى كبير في شمال لندن اسمه "Saint James University Hospital"، كان في طبيب شاب اسمه الدكتور إدوارد هالستون — أو زي ما زمايله كانوا بينادوه "إيد".

راجل هادي جدًا، عمره وقتها ٣٣ سنة، متخصص في علم الأمراض والتشريح الجنائي، وبيشتغل في المشرحة التابعة للمستشفى من ٧ سنين تقريبًا.

الناس كانت بتقول عليه عبقري، بس اللي كانوا بيشتغلوا معاه كانوا بيلاحظوا إنه آخر سنة بقى شارد جدًا، بيتكلم لوحده أحيانًا، وبيقعد في المشرحة بالساعات بعد الشغل الرسمي، يكتب تقارير طويلة جدًا عن حالات انتهت خلاص.

في شهر أكتوبر ١٩٩٦، استقبلت المشرحة جثة بنت عمرها ٢٤ سنة، اسمها "إليزابيث هاربر"، ماتت في حادثة غرق في نهر التايمز، والشرطة قالت إنها انتحرت.

الدكتور إدوارد كان هو المسؤول عن تشريح الجثة. من أول لحظة لمس فيها وشها، حصل له حاجة غريبة.

الممرضة "كلير"، اللي كانت موجودة وقتها، قالت في شهادتها بعدين:

"إيد وقف مكانه دقيقة كأنه اتجمد، بعدين بص على الجثة وقال: (العينين دي أنا شُفتها قبل كده)..."

بس لما سألته شافها فين، ما ردش.

كمل الشغل، وكتب في التقرير إن الوفاة بسبب اختناق مائي، لا توجد علامات عنف، حالة انتحار واضحة.

لكن بعدها بأيام، بدأ يبات في المشرحة بحجة "الشغل المتراكم". الحارس اللي بيبقى في الدور اللي فيه المشرحة قال:

"كنت كل يوم أسمع أصوات خطوات جوه... زي حد ماشي بالكاوتش الطبي... رغم إن المفروض مفيش حد."

ولما كان يروح يطمن، يلاقي النور طافي، بس يلاحظ إن درجات التبريد بتعلى لوحدها كأن في حد بيفتح التلاجات. والأغرب... إنه كان بيشم ريحة عطر نسائي خفيف في الممر، نفس نوع العطر اللي كانت البنت إليزابيث حاطاه يوم موتها.

بعد أسبوعين، موظف الأرشيف لاحظ إن الدكتور إدوارد كان بيروح يراجع ملف جثة إليزابيث كل يوم، ويكتب بخط صغير في الهامش جُمل غريبة زي:

"هي لسه هنا."

"ما بترضاش تسكت."

"أنا حاولت أرجعها."

المدير استدعاه وقاله إنه محتاج إجازة، بس إدوارد رفض، وقال إنه "قرب يكتشف حاجة ماحدش اكتشفها قبل كده".

في نوفمبر ١٩٩٦، حصلت واقعة محدش نسيها لحد النهارده. كل المشرحة كانت متراقبة بكاميرات أمنية شغالة ٢٤ ساعة. وفي ليلة ١٣ نوفمبر، الساعة ٢:٤٧ فجر ، الكاميرا رقم ٣ سجّلت حاجة مستحيلة. اللقطات أظهرت الدكتور إدوارد واقف جنب درج الجثة رقم ٢٨ – اللي فيه جثة إليزابيث. فتح

الدرج، ووقف يبص عليها حوالي دقيقة... بعدها قعد يكلمها فعلاً بصوت واضح:

"أنا عملت اللي قدرت عليه... إرجعي بقى... أنا سامحك."

وبعدين بدأ يلمس وشها بإيده، ويقيس النبض كأنه بيتأكد إنها حية.

الكاميرا بعدها أظهرت الجثة بتتحرك حركة بسيطة جدًا في الإصبع الشمال.

بعد عشر ثواني، النور كله في المشرحة قطع، ولما رجع، الدكتور إدوارد اختفى من الكادر، والجثة كانت نصها برا التابوت.

لما الحراس دخلوا الصبح، لقوا إدوارد مرمي على الأرض، نفس لون الجثث اللي بيشتغل عليها... بارد تمامًا.

نقلوه الطوارئ، وقلبه ماكانش بيدق. أعلنوا وفاته رسميًا الساعة ٦:١٣ صباحًا.

بس بعد ٣ ساعات، أثناء ما كانوا بيجهزوه عشان يدخل التبريد، الدكتور اللي بيكشف على الجثث لاحظ نبض خفيف جدًا في الشريان. وفعلاً... رجع للحياة.

فضل في المستشفى أسبوعين. الكل لاحظ إن عينيه بقت مختلفة، واحدة لونها أفتح من التانية، وصوته بقى غريب كأنه بيكلم من بعيد. ولما سألته الممرضة "كلير" عن اللي حصل، قالها:

"ما متش... هي اللي رجعتني."

وسكت. من يومها، بقى يرفض يلمس أي جثة تاني. وكان كل ما يعدي قدام تلاجة الجثة رقم ٢٨، يبص حواليه ويتنفس بصعوبة كأنه بيتخنق.

يوم ٩ ديسمبر، الساعة ٣ الفجر، حصلت نفس الظواهر تاني: النور قطع، ودرجة الحرارة في المشرحة نزلت فجأة لـ -١٠. الحارس شاف على الكاميرا إدوارد واقف قدام باب المشرحة،

لابس البالطو الأبيض، بس وشه كان باين عليه تجمّد غريب. دخل المشرحة، وقعد جوه حوالي ١٧ دقيقة. ولما الناس دخلت بعد ما شافوه ما خرجش، لقوا الباب مقفول من جوه بالسلسلة اللي هو نفسه حطها. فتحوه بالعافية...

ولقوا المنظر اللي اتحفر في تاريخ مستشفى "سانت جيمس" كله: كل التلاجات مفتوحة، وكل الجثث متجمعة حوالين ترابيزة واحدة في النص، كأن حد حركها بإيده. وفي النص... جثة إدوارد نفسه، بس المرة دي فعلاً ميت. الطبيب اللي شرح جثته كتب:

"علامات التجلط تشير إلى توقف القلب منذ أكثر من ١٢ ساعة... أي أنه كان ميتًا بالفعل قبل ما يدخل المشرحة."

ببساطة، مفيش تفسير. إزاي كان بيتحرك ويتكلم ويتصور بالكاميرات وهو ميت؟ الشرطة صادرت تسجيلات الكاميرات ليلة الوفاة التانية، لكن بعدها بأسبوع، الملف اختفى من الأدلة.

وفي تصريح مقتضب لرئيس الأمن بالمستشفى قال: "الأشرطة اتلفت بسبب خلل حراري في غرفة الحفظ." بس الصحف وقتها – زي "The Sun" و"Daily Mail" – قالت إن الأشرطة اتشالت بتعليمات من وزارة الصحة نفسها، وإن في مقطع اتسرب، مدته ٨ ثواني، بيظهر فيه الدكتور إدوارد وهو بيتكلم لوحده في الضلمة ويقول:

"هما ما بيموتوش... إحنا اللي بننسى."

في فبراير ١٩٩٧، جات رسالة بالبريد لمكتب المدير العام للمستشفى.

الرسالة من شخص بيوقّع باسم"E.H ".

جواها صورة فوتوغرافية حديثة جدًا لوش بنت شابة... هي بالضبط وش إليزابيث هاربر. وفي ضهر الصورة مكتوب:

"هو وعدني... ورجعني."

التحقيقات أثبتت إن الصورة اتصوّرت بكاميرا من نوع ماكانش موجود في السوق قبل شهر واحد بس.

يعني مستحيل تكون قديمة.

بعد سلسلة التحقيقات، قررت الحكومة البريطانية سنة ١٩٩٨ غلق مشرحة مستشفى سانت جيمس "لأسباب أمنية".

اتحوّلت بعد كده لمخزن أدوية، لكن عمال الأمن هناك بيقولوا إن كل يوم جمعة بالليل بيسمعوا صوت باب تلاجة بيتفتح ويقفل لوحده.

وفي مرة سنة ٢٠٠٣، عامل نظافة جديد فتح الباب بالخطأ، وقال إنه شاف "راجل لابس بالطو أبيض واقف في الضلمة، ماسك إيد بنت صغيرة"،

ولما ناداه، الاتنين اختفوا فجأة.

التقرير السري اللي اتسرب سنة ٢٠٠٥

في ٢٠٠٥، تسرب تقرير داخلي من وزارة الصحة البريطانية مكتوب عليه "سري جدًا".

فيه فقرة غريبة بتقول:

"تم استعادة ملف Saint James Morgue بعد حوادث غير مبررة، يُمنع ذكرها للإعلام. الدليل المادي الوحيد هو أثر لبصمة إصبع بشري على جثة الطبيب بعد وفاته بيومين. البصمة تتطابق مع إليزابيث هاربر."

النهارده المبنى القديم لسه موجود في شمال لندن، اسمه اتغيّر وبقى تابع لمركز أبحاث طبّي، لكن الحراس اللي بيشتغلوا هناك بيقولوا إن الدور السفلي لسه ممنوع الدخول فيه بعد الساعة ١٠ بالليل.

وكل كام شهر، بيطلع من هناك إنذار تبريد تلقائي لتلاجة رقم ٢٨ — رغم إنها اتفصلت من النظام من أكتر من ٢٠ سنة.

والغريب إن كل مهندس يروح يصلحها بيحكي نفس الجملة بعد ما يخرج:

"كنت حاسس إن حد واقف ورايا... بيتنفس."

حادث بحيرة إلوين
"الملف اللي اختفى من أرشيف الشرطة البريطانية"

(نُشر هذا التقرير لأول مرة في صحيفة محلية بمقاطعة كمبريا سنة ١٩٩٩، قبل أن يتم حذفه لاحقًا من الأرشيف الإلكتروني دون تفسير رسمي.)

المقدمة

أنا "مارك هاربر"، كنت صحفي شاب وقتها، شغال في جريدة إقليمية صغيرة في شمال إنجلترا.

اللي هتحكّيه دلوقتي مش قصة سمعتها... لأ، دي قضية اشتغلت عليها بنفسي، وكنت واحد من القليل اللي شافوا التسجيلات الأصلية قبل ما تختفي.

القضية اتعرفت وقتها باسم "حادثة بحيرة إلوين"... وفضلت لحد النهارده من أكتر القضايا اللي البوليس نفسه رفض يتكلم عنها بعد ما اتقفلت فجأة سنة ١٩٩٨.

في شهر فبراير ١٩٩٦، عيلة اسمها "كوفيلد" كانت ساكنة في بيت ريفي قديم قريب من بحيرة صغيرة اسمها "إلوين"، على أطراف قرية هادئة اسمها "دارنستون".

العيلة كانت مكونة من الأب "روبرت كوفيلد"، أستاذ رياضيات في مدرسة القرية، الأم "هيلين"، ربة بيت، وابنتهم الوحيدة "لورا"، عندها ١٧ سنة.

في يوم ١٢ فبراير، أثناء نزهة مع أصحابها عند البحيرة، لورا اختفت.

الشهود قالوا إنها كانت بتضحك، وبعد دقيقة ملقوش ليها أثر... بعد ٣ أيام، الغواصين لقوا جثتها في قاع البحيرة، على بعد حوالي ٢٠٠ متر من الشاطئ.

تقرير الطب الشرعي قال إنها "غرقت"، لكن الغريب إنها كانت لابسة ساعتها وجاكيتها... والحذاء مكانش عليه طين أو طحالب زي المفروض يحصل في حالة الغرق.

بعد الجنازة بأسبوعين، بدأت "هيلين"، الأم، تحس إن في حاجة غريبة في البيت.

كانت بتسمع خطوات في ممر الدور التاني، وصوت باب أوضتها بيتقفل بالليل لوحده.

في الأول كانت فاكرة إن ده بسبب الحزن، بس لما الكاميرا الأمنية اللي الأب حطها في المطبخ سجلت صورة ضبابية شبه لورا ماشية في الممر، بدأت العيلة كلها تتوتر.

الأب قرر يركب كاميرات أكتر.

حوالي ٦ كاميرات، في الصالة، الممر، وسطح البيت.

بعد أسبوع، لما راجع التسجيلات، لاحظ لقطة غريبة:

في الساعة ٢:٣٧ بعد نص الليل، ظهرت شخصية بنت واقفة في الممر، نفس طول لورا، وشعرها منسدل، لكن وشها غامق كأنه متفحم.

الصورة دي كانت أول دليل رسمي في التحقيق الجديد اللي فتحه البوليس بعد ما الأب قدّم بلاغ.

في إبريل ١٩٩٦، وبعد ما الموضوع انتشر بين أهل القرية، جارتهم العجوز "مسز بارلو" قالت للأم إنها تعرف وسيط روحاني بيقدر "يتواصل مع الأرواح".

العيلة وافقت تقابله.

الراجل كان اسمه "دانيال مورغان"، من مدينة ليدز،

وقال إنه حسّ إن روح لورا "مش مستريحة"، وإن في شيء في البيت بيربطها بالمكان اللي ماتت فيه.

عمل جلسة تحضير أرواح داخل البيت، واللي حصل فيها محدش قدر يفسّره لحد النهارده.

خلال الجلسة، انقطعت الكهرباء لحوالي ٤٠ ثانية، ولما النور رجع، التسجيل الصوتي اللي كان شغّال سجّل صوت بنت بتهمس بكلمة واحدة:

"Find me"

يعني "لقّوني".

بعد الجلسة دي، الأب بدأ يفتش في حاجات بنته. على موبايلها القديم (كان موديل نوكيا وقتها)، كان في فيديو قصير مدته دقيقتين بتاريخ قبل موتها بيومين. الفيديو كان متصوّر بكاميرا صغيرة في جيبها، وهي ماشية ناحية البحيرة. الصورة كانت مهتزة، بس في آخر اللقطة، الكاميرا بتقع على الأرض، وبيظهر وجه بنت متحلل لثواني، وبعدين الشاشة تسوّد. الشرطة حاولت تحلل الفيديو، وقالت إن الصورة "مجرد انعكاس في المية"، لكن الأب والأم اتأكدوا إن البنت كانت شايفة نفسها بعد موتها.

في الصيف اللي بعده، بدأ الجيران يشتكوا إنهم بيسمعوا صراخ جاي من بيت كوفيلد بعد نص الليل، لكن لما الشرطة كانت بتيجي، ماكانوش بيلقوا حاجة. الكاميرات اللي الأب مركبها سجلت حوادث أغرب: مرة، لقوا السرير بيتحرك

لوحده، ومرة تانية، ظهر على الحيطة ظل بنت بتمشي عكس اتجاه الأم. وفي تسجيل بتاريخ ١٤ يونيو، واضح إن شخص بيبص من شباك الدور التاني رغم إن كلهم كانوا نايمين تحت.

بعد أسبوع من التسجيل الأخير، الأب اتصل بالصحافة — هنا أنا دخلت القضية كمراسل. رحت البيت، وقابلت الأم، كانت مرهقة جدًا، وقالتلي جملة مش بنساها:

"أنا مش خايفة من اللي ماتت... أنا خايفة من اللي رجع مكانها."

في أغسطس، أثناء تفتيش البيت، لقوا صندوق خشب صغير في أوضة لورا، جواه صور كتير متصورة بالكاميرا القديمة بتاعتها... في أغلب الصور، لورا كانت بتتصور قدام بيت غريب مهجور على تلة قريبة من البحيرة. ولما الأب راح يشوف المكان بنفسه، اكتشف إن البيت ده اتهد من سنين ومفيش غير أطلاله. لكن أغرب صورة كانت الأخيرة: لورا

واقفة جنب نفسها... واحدة حقيقية، والتانية باين عليها التحلل والمية، نفس اللبس اللي اتدفنت بيه. التحقيق توقف عند النقطة دي، لأن الشرطة قالت إن الصورة ممكن تكون "تركيب ضوئي."

في نوفمبر ١٩٩٧، الأب اختفى، ساب ورقة مكتوب فيها:

"هي مش هناك... هي هنا."

ولم يُعثر عليه حتى الآن. الأم بعد شهور باعت البيت وسافرت، وقالت إنها هتبدأ حياة جديدة في إسكتلندا. لكن الجيران اللي سكنوا بعدهم اشتكوا إنهم بيشوفوا بنت بتقف عند شباك الأوضة اللي كانت بتنام فيها لورا، وأكتر من واحد قال إنهم بيشوفوا «شخصين» في الشباك... واحدة وشها طبيعي، والتانية سودا عينيها تمامًا.

كتبت أول مقال عن القضية في فبراير ١٩٩٨، وجالي اتصال من ضابط في شرطة دارنستون، قاللي إن الملف "أُغلق رسميًا"،

لكن بعد أسبوع، الملف اختفى من الأرشيف. حتى الصور اللي كانت عندي اتحرقت بعد ما مكتبي حصل فيه حريق غريب قبل نشر التقرير النهائي بيوم. المحقق اللي كان شغال على القضية — الرائد "مايكل هادسون" — اتنقل بعد شهر لمستشفى للأمراض النفسية، وقالوا إنه كان "بيتكلم مع نفسه" وبيقول إنه "شاف لورا بنفسه."

في ٢٠١٧، نُشرت نسخة من الفيديو اللي كانت مصوراه لورا على الإنترنت لفترة قصيرة، قبل ما يتم حذفها تمامًا. الناس اللي شافوها قالوا إن في آخر ثانية في الفيديو، وش البنت المتحللة بيقرب من الكاميرا وبيهمس بحاجة مش مفهومة، لكن لما حد ركّب الصوت ببرنامج تعديل، اكتشفوا إنها بتقول:

"بحيرة إلوين ليست ما تظنه."

أنا كتبت القصة دي بعد ما وصلتني رسالة مجهولة في ٢٠١٨، كانت في ظرف أبيض من غير عنوان، جواه صورة مطبوعة بالأسود والأبيض لبحيرة إلوين، وفيها بنت صغيرة واقفة في

الضباب، وشبه لورا تمامًا، لكن في الخلفية... في حد تاني واقف، أطول منها، وشكله ملوش ملامح.

الملف ده ما اتفتحش تاني، بس كل سنة، في نفس الشهر اللي ماتت فيه لورا، الناس اللي ساكنين جنب البحيرة بيقولوا إنهم بيسمعوا صوت بنت بتضحك في المية. ولحد النهارده، مفيش حد قدر يفسّر ليه في التسجيلات القديمة بتظهر بنتين مش واحدة... ولا مين فيهم الميتة فعلًا.

توبة الساحر

"ملف قرية عين الجبل-١٩٩٤"

(تقرير خاص – الصحفي/ محمود جلال)

المقدمة

كنت وقتها لسه في بداية شغلي كصحفي بجريدة محلية صغيرة في أسوان.

شغلي كان دايمًا يدور حوالين القرى اللي بيحصل فيها حاجات غريبة: أرواح، أعمال، سحر، حاجات من النوع اللي الناس بتسميها "خرافات"، وأنا كنت بحب أتحقق منها.

لحد ما جالي ملف اسمه "توبة الساحر عواد"... ملف ملوش صاحب، اتبعت للجريدة في ظرف ملوش عنوان، جواه شوية صور باهتة، ومقال صغير مكتوب بخط إيد:

"اللي حصل في عين الجبل مش توبة... ده حساب."

قرية عادية جدًا من بعيد، بس لما بتقرب، بتحس إن الهوا فيها تقيل، كأنك داخل مكان الدنيا فيه وقفت.

في آخر السبعينات، كان فيها راجل مشهور اسمه عواد عبد الرازق، كان الناس بتسميه "الشيخ عواد"، بس الحقيقة إنه ماكنش شيخ بمعنى الدين... ده كان ساحر سفلي بيخدم الناس بالأعمال، يفك، ويربط، ويؤذي، ويشفي، وكل حاجة بسعرها.

كان معروف في القرى حوالين أسيوط كلها، والناس كانت بتروح له بالليل... يقال إنه كان بيشتغل بالسحر الأسود، وكان بيستخدم جلد الموتى، ودم حيوانات، وآيات مقلوبة، وفي ناس قالت إنها شافته بيكلم حاجة جوه المقبرة القديمة وبيضحك وهو لوحده.

في سنة ١٩٩٤، فجأة الراجل اختفى أسبوع، ولما رجع، اتغير تمامًا.

حلق دقنه الطويلة، لبس جلابية بيضا، وبدأ يصلي في الجامع كل الفروض، وقال لكل اللي يعرفوه إنه "شاف الجحيم بعينه" وقرر يتوب.

الناس فرحت في الأول، وقالوا "ربنا هداه"، بس الغريب إن اللي كان بيروح له زمان، بدأوا يحصلهم حوادث غريبة بعد توبته.

واحدة اتجننت، واحد بيقول إن وشه اتحرق لوحده، واحدة تانية ماتت في نومها بعد ما حلمت بيه بيخنقها. الناس بدأت تقول:

"اللي خدموا الشياطين ما بيتسابوش بسهولة."

أنا رُحت القرية في شهر سبتمبر ١٩٩٤، قابلت واحد هناك اسمه سعد النجار، كان صديقه القديم، وقال لي:

"عواد تاب فعلاً، بس التمن كان غالي أوي يا أستاذ محمود."

سألته: "إزاي؟"

قاللي:

"من يوم ما حرق الكتب اللي كان بيشتغل بيها، وهو بيشوفهم... بيشوف الخدم اللي كان بيستعين بيهم."

بيقول إن في ليلة، القرية كلها صحيت على صوته،

كان بيصرخ من جوه بيته وبيقول:

"اطلعوا برّه! مش عايز حاجة منكم! خلاص تبت!"

ولما الناس دخلت، لقوه مرمي على الأرض،

وجنبه دايرة مرسومة بالدم، وفي النص تمثال صغير شبه الإنسان بس من طين أسود، وكان بيدوب ببطء كأنه بيتبخر!

أنا قضيت أول ليلة هناك في بيت عيلة غلبانة جنب بيت عواد.

الليل كان ساكت، والهوى ناشف، بس الساعة ٢:٤٥ سمعت صوت كأن في حد بيخبط على باب من بعيد... خبط بطيء، منتظم... ولما خرجت أبص من الشباك، شُفت نور خافت

طالع من بيت عواد، رغم إن الكهرباء كانت مقطوعة عن المنطقة كلها.

الناس هناك قالولي:

"النور ده بيولع لوحده كل يوم في نفس المعاد... من ساعة ما تاب."

تاني يوم الصبح، رُحت بيته القديم.

البيت كان من طوب لبن، وسقفه من جريد النخل، ومقفول بسلسلة صدية.

راجل كبير اسمه عم فرحات كان قاعد قريب، قاللي:

"ما تدخلش يا ابني... الريحة جوا مش ريحة بشر."

بس الفضول كان قاتلني.

دخلت، وكل خطوة كنت بحس إن الأرض بتنهج تحت رجلي كأنها بتتنفس.

في الركن كان في سبورة خشب مكتوب عليها حروف بالعكس، وجنبها مصحف مفتوح، بس الورق متاكل من النص.

وفي وسط الأوضة، حاجة شبه قطة ميتة بس مش قطة عادية... وشها كان شبه وش بني آدم!

ساعتها قلبي وقع حرفيًا.

صورت كل حاجة بالموبايل القديم اللي معايا، ولما جيت أخرج، سمعت صوت حد بيتنفس ورايا... مش تنفس إنسان... تنفس خشن كأن حد بياكل هوا غصب عنه. رجعت أبص ورايا، ما كانش فيه حد.

لكن الباب اللي دخلت منه اتقفل لوحده.

فضلت دقيقة مش عارف أتنفس، وبعدين النور اللي كان داخل من الشباك بدأ يختفي بالتدريج، كأن حد بيغطيه بإيده. ولما نظرت تاني، لقيت ظل بني آدم طويل جدًا واقف جوه الحيطة... وشه مش باين، بس جسمه بيتحرك كأنه بيتلوى.

سمعت صوت همس بيقول:

"هو وعدنا... ما ينفعش يرجع في كلامه."

في نفس الليلة دي، رحت أدور على "الشيخ عواد" نفسه. قالولي إنه ساكن دلوقتي في عشة ورا الجبل، بعد المقابر القديمة. طلعت له، ولما شافني قال لي أول ما قعدت:

"هم بعتوك تسألني؟ خلاص ماينفعش."

قلتله: "أنا صحفي، جاي أكتب عن توبتك، عن اللي حصل."

قاللي: "اللي حصل ما يتكتبش، اللي حصل يتدفن... لأن اللي شُفته مش بشر."

حاولت أهدّيه ويفهمني، لكنه بدأ يحكي، وصوته بيتهز: "كنت بخدم جني اسمه سَلوخ، هو اللي علّمني كل حاجة.

كان بيظهر لي من مراية مكسورة، في كل مرة كنت أقرأ آيات بالعكس وأحرق ورق مكتوب عليه اسم الله. كنت فاكر إني

بسيطر عليه... لكن اللي ما عرفتوش وقتها إنهم هما اللي كانوا بيسيطروا عليّا.

لما قررت أتوب، وعدتهم آخر خدمة... بس ما عملتهاش.

حرق الكتب كان غلطتي، دلوقتي كلهم راجعين... وأنا مش لوحدي هنا."

ولما قال الجملة دي، الأرض تحتنا اتحركت فعلاً!

زي ما تكون نَفَست.

وبعدين شمّينا ريحة لحم محروق. الراجل قام مرعوب وقال لي:

"اخرج دلوقتي، قبل ما ييجوا!"

رجعت على القرية الساعة واحدة بالليل، ولقيت الدنيا مقلوبة.

الناس بتصرخ عند الجبل... لما وصلت، لقيت العِشّة اللي كان فيها الشيخ مولّعة نار.

النار كانت طالعة من جوه الأرض، مش من فوق، كأن في حاجة ولعت من تحت التراب.

والأغرب؟ مافيش جثة. ولا أثر لعوّاد.

بس لقينا فوق صخرة جنب العِشّة نقش بالعربية المكسّرة مكتوب عليه:

"مافيش توبة بعد العهد."

والنقش ده، لما صورناه، الصورة كانت بتتشوه كل مرة نحاول نطبعها.

النسخة اللي اتمسكت في قسم الشرطة، اتحرقت وهي في الدرج.

وأمين الشرطة اللي كان ماسك الملف — توفى بعدها بيومين بسكتة قلبية.

بعد موت عوّاد (أو اختفاؤه)، حصلت حاجات غريبة في القرية:

البهايم كانت بتتصرف بغرابة، تلف حوالين نفسها وتصرخ كأنها شايفة حاجة.

في ناس قالوا إنهم بيشوفوه ماشي في المقابر بالليل، لابس أبيض، بس وشه اسود.

واحدة ست عجوز اتقال إنها شافته قدام الجامع بيقول بصوت مش صوته:

"مافيش غفران... حتى وانتوا بتصلوا."

واحد من شباب القرية، اسمه علاء، حب يثبت إن الكلام خرافة. دخل بيت عوّاد بالكاميرا وصوّر.

في الفيديو اللي شُفته بعيني، الكاميرا بتتهز فجأة، وبيظهر في الإطار ظل بني آدم صغير جدًا، طوله نص متر تقريبًا، واقف في الركن وبيبص للكاميرا وهو بيضحك.

وبعدها الصورة بتسود.

علاء مات بعدها بـ ٣ أيام...

أمه قالت إنها لقيته في السرير وشه متحوّل كأنه اتحرق بحرارة رهيبة، بس من غير أي آثار نار في الأوضة.

في ١٩٩٦، الملف اتقفل رسميًا.

قالوا: "حادث انتحار وسلسلة أوهام جماعية."

لكن أنا، محمود جلال، لسه عندي تسجيل صوتي من الليلة الأخيرة اللي كلمت فيها الشيخ عوّاد قبل الحريق.

التسجيل مدته ٣٧ ثانية، فيه صوتي وأنا بسأله:

"شايفهم دلوقتي؟"

وبيجي بعدي صوت خشن جدًا بيرد:

"هو شايفك إنت دلوقتي."

وبعدين صرخة فظيعة...

وصوت حاجة بتتكسر، وبعدها التسجيل بيقف لوحده.

كل مرة أحاول أشغله، بيطلع صوت أزيز غريب...

لكن في الثانية ٢٣، بيظهر صوت همس واضح جدًا، نفس الجملة اللي كانت مكتوبة على الصخرة:

"مافيش توبة بعد العهد."

في ٢٠١٠، وأنا براجع أرشيف الجريدة، لقيت الظرف القديم اللي بدأ منه كل حاجة، جواه نفس الورقة اللي اتبعتت أول مرة... بس بخط مختلف، مكتوب عليها:

"هو لسه بيكتب عني؟"

تحتها توقيع صغير بالدم، مكتوب "عوّاد".

القرية دي النهارده شبه مهجورة.

نص البيوت اتسابت، والمقابر القديمة اتقفلت بالطوب.

بس لحد دلوقتي، كل سنة في نفس اليوم اللي مات فيه الشيخ (أو اختفى)، الناس بتقول إنهم بيسمعوا صوت راجل بيضحك جوه الجبل، وبعدها بيبدأ الدخان يطلع من الأرض كأن الجبل بيتنفس.

وأنا... كل مرة أفتكر اللي شوفته، بحس إن في عينين بتبصلي من ضهر المراية وأنا بكتب.

وعرفت متأخر أوي إن اللي بيحاول يكتب عنهم... بيتكتب معاهم.

عِشق النار
"حكاية الشيخ عمران
من قرية الطوال"

أنا اسمي الشيخ عمران... من قرية صغيرة في أطراف الصعيد اسمها "الطوال"، قرية مالهاش ذكر في الخرايط، وده يمكن رحمة من ربنا، لأني لو الناس عرفت اللي حصل عندنا، محدش كان هيقرب منها تاني.

أنا راجل في السبعين دلوقتي، لكن كل اللي هحكيه حصل من حوالي تلاتين سنة... سنة ١٩٩٥ بالضبط، لما كان في شاب اسمه محمود ابن جابر، شاب مؤدّب، صوته جميل في القرآن، وكان بيأذّن في الجامع الصغير اللي في نص البلد.

محمود كان بيشتغل فلاح بسيط، وأبوه راجل غلبان، ماكانش فيهم حاجة تلفت النظر... غير إنه في يوم اختفى عن نداء الفجر. الناس استغربت، لأن محمود ما بيقطعش الأذان أبدًا، بعد شوية لقيناه راجع من عند الجبل اللي ورا البلد، وشّه شاحب كأنه مرعوب من حاجة محدش شايفها.

سألته بنفسي: "مالك يا واد؟ وشّك مصفّر كده ليه؟"

قاللي: "ماعرفش يا عم عمران، كنت بصلي الفجر لوحدي، وحسّيت إن في حد ورايا... ولما بصيت، لقيت بنت واقفة بعيد... لابسة أبيض، وبتضحك."

افتكرت إنه بيتخيّل، لكن بعدها بأيام بدأ يحصل الغريب. محمود بقى بيكلم نفسه، وبالليل الناس بتسمعه بيغنّي كلام مش مفهوم، وصوته بيتغير، مرة خشن زي الراجل، ومرة رفيع زي الست.

رحت له البيت، كان قاعد في أوضته، عينه حمرا كأنها مش عينه.

قلتله: "مالك يا ابني؟"

بصّ لي وابتسم وقال: "هي بتحبّني يا عم عمران... قالتلي إنها من النار، بس بتحبّني زي ما أنا."

جسمي اتكهرب ساعتها.

سألته: "مين؟"

قال: "اسمها رَهف... قالتلي إنها كانت بتسمع صوتي وأنا بأذّن، وإنها شافت في قلبي نور ما شافتوش قبل كده... قالتلي إنها عايزة تتجوزني، بس بشرط ما أتجوزش بشرية."

ضحكت، افتكرت إنها وسوسة. بس لما قربت منه، حسّيت بنَفَس سخن طالع من ناحية ضهره، كأن في حد واقف وراه بيتنفس فيّ!

رحت لأبوه، قلتله: "الواد في حاجة مش طبيعية، ماينفعش يفضل لوحده."

قاللي: "ما بينامش يا شيخ عمران... بيقعد يتكلم في الضلمة، يقولها: يا رَهف متغضبيش."

بدأت أقرأ عليه قرآن. كل ما أقرأ آية الكرسي، محمود يتشنّج ويصرخ بصوت بنت! أيوه... بنت! صوت رفيع بيقول: "سيبهولي... هو ليا!" الستات جريت، والرجالة وقفت مذهولة. ولما خلصت القراءة، وشه اتنفخ كأنه اتلسع بنار.

بعد الجلسة دي، كل بيت في البلد بدأ يسمع حاجات غريبة. نار بتولع في أوضة وتقفل لوحدها. مواشي تموت من غير سبب. والهواء في الليل يبقى تقيل كأنه بيحمل همّ.

محمود نفسه كان بيقول إنه بيشوفها كل يوم. مرة قاللي:

"بتزورني كل ليلة، تقعد جنبي وتغني، وتقولي: إنت ليا... ولو حاولت تسيبني، هولّع الدنيا."

أنا ما كنتش مصدق، لحد ما الليلة اللي بعدها، البيت اللي ساكن فيه ولع فعلاً بالنار، بس النار كانت غريبة... لونها أزرق فاتح، وما حرّقتش غير السرير اللي بينام عليه.

قررت أعمل له جلسة تانية. جبت اتنين من المشايخ معايا، وبدأنا نقرأ. أول ما بدأنا الفاتحة، محمود فتح عينه وقال بصوتها:

"هو اللي وعدني... هو اللي غنالي تحت الجبل، واللي وعد يتجوزني! دلوقتي بيكذبني؟!"

الأوضة كلها بدأت تهتز، والإزاز في الشبابيك اتكسر، وشممنا ريحة شبه الكبريت المحروق. واحد من المشايخ وقع على الأرض مغشي عليه، والتاني بيقرأ وهو بيعيّط. أنا بس اللي كملت، لحد ما سمعنا صوتها واضح جدًا:

"هسيبه، بس لما يموت في حضني."

بعد الجلسة دي، محمود اختفى تاني. دورنا عليه في الجبل، في الغيط، في المقابر... مفيش. بعد ٣ أيام، لقيناه راجع لوحده، لابس هدومه مقطعة، وشه عليه آثار حروق، لكن كان بيضحك! قلتله: "كنت فين يا ابني؟" قاللي: "كنت معاها... خدتني لحتة تحت الأرض، هناك كل حاجة حلوة... مافيش وجع ولا خوف، بس هي قالتلي: "لو رجعت، هتنتقم."

الكلام ده ما عداش يومين، وأمه ماتت فجأة في النوم. مفيش سبب. الطبيب قال: "هبوط في القلب." بس لما غسلناها، لقينا أصابع على رقبتها كأن حد خنقها! أبوه بعدها اتجنن، قعد يضحك ويبكي في نفس الوقت، ويقول:

"كانت بتغني في وداني بالليل... قالتلي: استنّى محمود، راجع معايا."

في الليلة دي بالذات، محمود دخل الجامع، وقال قدام الناس كلها:

"أنا بحبها... ومش هسيبها. اللي يعترض، هحرقه زي ما هي حرقت أمي."

وخرج يجري ناحية الجبل.

أنا والرجالة طلعنا وراه. المكان هناك دايمًا ساكن، بس المرة دي كان في صوت ست بتضحك، ضحكة خفيفة في الأول، وبعدين عالية كأنها بتسخر من الكل. النور بتاع الكشافات بدأ يضعف، ولما وصلنا لقمة الجبل، لقينا نار زرقا بتلف حوالين صخرة. وسط النار دي كان محمود واقف، بصّ لنا وقال: "شايفين؟ هي هنا... قالتلي نختفي سوا." صرخنا: "اطلع يا محمود! سيبها!" لكن قبل ما نتحرك، النار ولعت

فجأة أكتر، وانفجر صوت صرخة بشرية مش طبيعية خالص... وبعدها كل حاجة سكتت.

تاني يوم الصبح، ملقيناش غير رماد على شكل بني آدم فوق الصخرة. أبوه لما شاف المنظر، وقع ومات في ساعتها. والناس دفنت الرماد في كفن أبيض، وقالوا: "قدر الله."

لكن الرعب ما خلصش. كل يوم خميس، عند العِشا، بيطلع نور أزرق من فوق الجبل، وساعات نسمع صوت محمود بيأذّن... وصوت ست بترد عليه من بعيد، تقول له: "أنا هنا يا محمود... لسه مستنياك." الناس بطّلت تطلع الجبل خالص. وأي حد حاول، حصل له مصيبة.

في واحد من الشباب، اسمه حمدي، حب يثبت إن الموضوع خرافة. طلع الجبل بالموبايل عشان يصوّر. بعد ساعتين، نزل بيجري، جسمه كله متلسع، وقبل ما يموت بدقايق

قاللي بنفسه: "شُفتها... كانت جميلة أوي... بس لما قربت، وشها اتشوّه وبقت نار."

من يومها، محدش نطق اسمها في البلد. حتى وأنا شيخ، لما أفتكر اللي شُفته، بحس إن في عيون بتراقبني من الهوا. في كل شتا، لما المطر ينزل على الجبل، الدخان الأزرق بيطلع تاني، كأنه بيكتب كلمة "رَهف" فوق الصخرة.

وكل مرة بنسمع فيها صوت محمود في الرياح، بنفتكر جملتها الأخيرة اللي قالتها وهي بتصرخ وسط النار:

"اللي يحب منّا... عمره ما ينجو."

من سنة تقريبًا، وأنا بصلي العشا في الجامع، سمعت صوت في الميكروفون... صوت محمود، بنفس نغمة الأذان اللي كان بيقولها زمان. طلعت أجري ناحية الميكروفون، لقيته فاضي. لكن الميكروفون كان سخن جدًا كأنه لسه مولع.

ولما بصيت للجبل من بعيد، شُفت نقطة نور زرقا بتتحرك ناحيتي... وبعدين اختفت.

دلوقتي، بعد كل السنين دي، مفيش ليلة فجر بتعدي إلا لما أسمع صوتها من بعيد، صوت ست بتضحك وبتهمس:

"لسه بتحكي قصتنا يا شيخ عمران؟"

وأنا لما بسمعها... بقرأ المعوذتين، وبقفل النور، وبستنى الفجر يعدي بسرعة. بس لحد النهارده، لما الليل بيطول، بحس إن في نَفَس سخن بيقرب من ورايا، وبيهمس بصوتها:

"هو قال لا... بس إنت لسه ما قلتش."

حادثة "قرية العوينة" في الصعيد

أنا اسمي الشيخ حسنين، وده حصل في حياتي سنة ١٩٩٧، في قرية صغيرة في الصعيد اسمها العُوينة... قرية صغيرة، ساكنين فيها حوالي ألف شخص، كل واحد يعرف التاني. الحكاية دي محدش في القرية حب يحكيها بعد اللي حصل... واللي هحكيه دلوقتي حصل فعلاً، كل كلمة فيه حقيقية زي ما أنا شُفتها بعيني.

القرية كانت هادية في الصيف، الشمس بتسطع على الحقول والماشية بتتمشى في الغيطان. لكن كان في حاجة غريبة بتحصل، محدش يعرف مصدرها.

اللي بدأ كل حاجة كان يوم واحد، لما فتاة من القرية اختفت فجأة... اسمها هالة. كانت بنت صغيرة، عمرها ١٧ سنة، جميلة جدًا، وبتشتغل مع أمها في البيت.

في البداية الناس قالت:

"يمكن راحت عند أقاربها أو ضاعت في الغيط."

لكن بعد يومين، لقوا دم على أطراف القرية، وأثار كعب حافية... والفتاة مفيش أثر لها.

الليلة اللي بعدها، أول حاجة حصلت كانت ضوضاء غريبة في الحقول. أول ما القمر طلع، الناس شافت ظلال مش بشرية، طويلة، بعيون حمراء، بتجري بين الغيطان بسرعة ما تتخيلهاش.

أهل القرية حاولوا يقربوا، بس كل واحد جرب، لقى نفسه مرمي على الأرض، جسمه متقطع ودمه سايب أثر على الأرض.

اللي ماتوا في أول يوم كانوا أحمد ابن الحاج علي، أبو مصطفى، وواحد من الشباب اسمه عماد... اللي شوفناه كان أسوأ ما ممكن تتخيله: عيونهم منفوخة، وجوههم مشوشة، أجسادهم متلوية بطريقة مش بشرية، والدم كان كأنه بيغلي على الأرض حوالينهم.

أنا شخصيًا شُفت أول ليلة الرعب بعيني. الليل كان ساكن جدًا... فجأة سمعنا صرخة عالية جدًا، غير أي صرخة بشرية.

خرجت أنا وبعض الشباب، لقينا بيت عم هلال مولع من غير نار... الخشب بيتفحم من غير سبب، والدم بينزل من الأرض حواليه.

وسط الدخان، شفنا ظلال كتيرة واقفة حوالين النار، شكلها كان نصف بشري ونصف وحش، وبتضحك بطريقة مجنونة. اللي حاول يقرب، صرخ ووقع على الأرض، ولقينا دمه مختلط بالتراب كأنه جزء منه اختفى.

اللي حصل بعد كده كان أصعب.

كل بيت في القرية بدأ يتفحم جزئيًا من غير نار حقيقية.

المواشي كانت بتموت فجأة، وعضامها بتطلع من الجلد من غير سبب.

الناس بدأت تختفي بالليل، وبعد ما نبحث عنها، نلاقي آثار دم بتوصل للأرض الفاضية أو للحظيرة، ومن غير أي جسم.

اللي حاول يهرب من القرية... كان الطريق بيتلغي تحت رجليه، كأنه بيتغير.

واللي استنى الصبح، كان يشوف وجوه الموتى واقفة على باب بيته، عيونهم حمراء، بيبصو فيه بصمت.

أنا وبعض شيوخ القرية حاولنا نعمل حاجة. جمعنا كتب وأدعية وقرأنا كل القرآن... لكن الصوت كان بيرجع أقوى من الأول:

"دي أرضنا... ومفيش حد يعيش فيها لو جاي من برا."

وفي نص الليل، حصلت المفاجأة... بيت الشيخ الكبير مولع من غير سبب، والشيوخ اللي كانوا قرايين وقعوا على الأرض، عيونهم اتشققت، وكان صوت صراخهم مخلط بصوت الحيوانات اللي كانت بتموت حوالين القرية.

بعد يومين، الرعب وصل للذروة.

كل ناس القرية تقريبًا شافوا نفس الحلم: جثة كبيرة من الدم، واقفة في نص الغيط، بتتكلم بصوت هادي:

"أنتم أخدتوا حاجتنا... هتدفعوا تمنها."

اللي حاولوا يلمسوا الأرض أو يبصوا للحفرة اللي فيها الدم، كانوا بيختفوا على طول، وبس بنشوف أثر دم وحيد على الأرض.

وده اللي حصل مع خالد ابن الحاج سعيد، واحد من الشباب اللي حاول يسافر... لما خرج من القرية، لقينا بس حذائه على الطريق، ودمه متناثر حوالين الحذاء، من غير أي جسم.

القرية كلها بقت شبه مهجورة، كل بيت فيه دم على الأرض، الحيطان مشيت فوق الأرض كأنها بتتنفس.

الليل بقى كابوس حقيقي:

الأصوات كانت مزيج من الصراخ، الضحك، والزعيق.

المواشي كانت بتهاجم أي حد يمر جنبها، وحتى الطيور سقطت من السماء ميتة فجأة.

أي حد حاول يكتب أو يلتقط صورة... الصورة كانت بتتشوه وتطلع فيها وجوه مرعبة من غير سبب.

أنا شخصيًا كنت بشوف أمي وأبويا واقفين على باب البيت، عيونهم حمراء، بيردعوا، ودي حاجة ماقدرش أنساها طول حياتي.

اللي حصل بعد كده، محدش يعرفه بالتأكيد. أنا قررت أسيب القرية... ومفيش حد رجع بعدي.

لكن كل سنة، في نفس التوقيت... حد من اللي فضلوا في القرية يسمع صوت خطوات، ضحك بشري وصرخات. اللي يشوف الطريق الرئيسي للقرية، يقول: بيظهر ظل بني آدم كبير جدًا، وعينه حمراء، واقف عند الجبل اللي ورا القرية.

أنا دلوقتي كبير في السن... ولحد النهاردة، لما بحلم الليل، بشوف الدم بيتحرك على الأرض، ووجوه الناس اللي اختفوا في القرية واقفين حواليا، وبيضحكوا... وبيهمسوا بصوت واحد:

"دي أرضنا... ومفيش حد بيرجع منها حي."

الدار اللي مطلعلهاش صبح

أنا اسمي عبد الرحيم، كنت شاب وقتها، حوالي تلات وعشرين سنة، وساكن في أطراف قرية صغيرة من قرى نجع حمادي. بيتنا كان طيني بسيط، جنبه بيت جيرانّا آل عواد، عيلة محترمة، بس فيهم غموض كده من زمان.

الحكاية بدأت في شتا سنة ستة وتمانين، لما الدنيا كانت بتكهرب من المطر، في اليوم ده، كنت راجع متأخر من السوق، والليل كأنه فحم.

وأنا معدي من جنب دار عواد، سمعت صوت حاجة زي همهمة... مش كلام واضح، ولا قرآن، حاجة بين الاتنين. وقفت. حسّيت شعر جسمي بيقف. الصوت جاي من جوه، من ناحية الحوش اللي في نص الدار. قلت يمكن بيقروا قرآن ولا حاجة، لكن الصوت كان واطي وغريب، كأنه طالع من جوه الأرض.

تاني يوم الصبح، شُفت "حسنية" مرات عواد، ست كانت دايمًا لابسة إسود، ووشها شاحب كأنها ما بتنامش.

قالتلي:

"العيال طول الليل بيعيّطوا... والدار بتترجّ، ما نيمتناش."

ضحكت مجاملة، وقلت يمكن شافتني ولا حاجة وأنا بتجسس على الصوت بتاع امبارح، بس في قلبي كنت مش مطمن.

مرت كام ليلة، والقرية كلها بدأت تهمس. الناس بتقول إن الدار دي بقت فيها حاجة مش طبيعية. واحدة سمعت صريخ بعد نص الليل، والتانية شافت نار طالعة من الشباك وتختفي فجأة. أنا شخصيًا كنت شايف ضوء بسيط بيطلع من الحوش آخر الليل، زي لمبة جاز بتنور وتطفي لوحدها.

في ليلة جمعة، بعد العشاء، أبويا قال لي:

"عبد الرحيم، ما تروحش ناحية دار عواد، الناس بتقول في حاجات هناك ما تتشافش."

ساعتها حسّيت برغبة غريبة... الفضول قتلني، فقررت أشوف بعيني. استنيت لما ناموا، وخرجت بالهدوء، ماشي على

أطراف رجلي. الدنيا كانت ساكتة... إلا من صوت كلب بينبح بعيد.

قربت من الدار، وفعلاً سمعت الصوت تاني، بس المرة دي أوضح... كأنه صوت راجل بيتكلم بلُغة مش عربية. وصوت تاني بيرد عليه بنَفَس مخنوق. قربت من الشباك اللي كان مكسور من فوق، وبصيت.

اللي شُفته عمره ما هينسيني. في نص الحوش، حسنية قاعدة على الأرض، حواليها دواير مرسومة بالطباشير، وجنبها شمع كتير، وأمامها صحن فيه مية سودة زي الفحم. وراها واقف عواد، بيقرأ من ورقة طويلة، صوته غليظ كأنه طالع من بطنه مش من صدره.

الجو جوا الحوش كان متغير... فيه دخان خفيف، وريحت ريحة غريبة، مش بخور... حاجة كأنها حريقة مبلولة.

فضلت أبص كده يمكن خمس دقايق، لحد ما فجأة حسنية رفعت وشها وبصّت ناحيتي مباشرة! قسم بالله ما كنت عملت صوت، بس حسّيت إنها شافتني. عينيها كانت سودة بالكامل... مافيهاش بياض. صرخت، وطلعت أجري من غير ما أبص ورايا.

تاني يوم، الدار كانت مقفولة. عواد اختفى، وحسنية ما حدش شافها. الناس قالت إنهم سافروا بلد تانية، بس أنا ما كنتش مصدق. كنت كل ما أعدي قدام البيت، أحس إن حد بيبصلي من ورا الشباك.

عدّى أسبوع، وبدأت تحصل حاجات في بيوتنا إحنا. الستات تقول العيال بيصحوا يصوتوا، الرجالة تحلف إن في حد بيخبط على البيبان بالليل ومفيش حد. وأكتر حاجة خوفتني، إن في مرة صحيت على صوت نقر في الحيطة اللي بين بيتنا وبيت عواد... نقر منتظم كأنه حد بيكتب حاجة جوه الطين.

يومها قررت أجيب شيخ من البلد يشوف الموضوع. جالي الشيخ صابر، راجل معروف إنه بيفهم في الرُقية الشرعية. دخل معايا الحوش، وقال وهو بيبص حوالينه:

"في ريحة مش مريحة يا ولدي، الدار دي اتفتحت لحاجة ما كانش لازم تتفتح."

بدأ يقرا قرآن، وساعتها سمعنا كلنا صوت زي تنهيدة طويلة طالعة من جوه الحيطة. الشيخ وقف وقاللي:

"حد من أهل الدار دي عمل حاجة سفلية كبيرة، وسابها مفتوحة."

سألته يعني إيه "سابها مفتوحة"؟

قال: "يعني النداء اتقال، لكن الرد ما اتقفلش."

الكلام ده فضل في دماغي أيام. وبعدها بشهر، عواد رجع القرية. كان نحيف جدًا، وشه أصفر، وبيتكلم بصوت واطي كأنه خايف من حاجة. سلمت عليه، مردش. فضل قاعد في

بيته يومين، وبعدين الناس لقوه ميت في الحوش، نايم على وشه، وإيده ممدودة ناحيه الحيطة اللي بين بيتنا وبيتهم.

الشرطة قالت "سكتة قلبية"، لكن أنا عارف... أنا سمعت قبلها بيوم نفس الهمهمة اللي سمعتها أول مرة، وكأن الحكاية لفت وخلصت عليه.

الدار بعدها اتقفلت. محدش رضي يسكن فيها، حتى لما جه ناس يشتروا، كانوا يسيبوا المفتاح ويمشوا بعد أول ليلة. أنا نفسي كنت أعدي منها وأنا مغمض.

بس في يوم، وأنا راجع من الغيط، لقيت الباب مفتوح. ما قدرتش أقاوم، ودخلت. كل حاجة كانت بايظه، بس اللي غريب إن الحيطة اللي بينا وبينهم كانت متشققة. قربت أبص، لقيت جوه الشق حاجة زي قماشه سودة ملفوفة بخيط أحمر. مديت إيدي بشويش، ساعتها الدنيا ظَلَمت، كأن السحاب غطّى القمر فجأة. سمعت صوت أنين، أقرب لوجع ست كبيرة.

رميت القماشه وجريت برة، ومن يومها وأنا ما قربتش المكان تاني.

الناس نِسيت القصة مع الوقت، لكني ما نسيتهاش. كل سنة في نفس الليلة اللي مات فيها عواد، بتسمع القرية كلها صرخة، صرخة واحدة قصيرة، وبعدها ريحة حريقة خفيفة كأن حد ولّع بخور غريب. يقولوا إن اللي بيتعامل مع اللي تحت الأرض ما بيرجعش سالم، وإن الدار اللي تفتحت فيها أبواب الظلمة عمرها ما بتشوف صبح.

وأنا... كل مرة أفتكر الليلة دي، أفتكر عين حسنية وهي بتبصلي من جوه الحوش، عينيها اللي ما فيهاش بياض، وصوت الهمهمة اللي فضل في وداني لحد دلوقتي.

البيت اللي ما حدش رجع منه

أنا جارهم، ساكن جنب البيت المهجور في قرية صغيرة بريف روسيا، تقريبا سنة ١٩٩٦.

البيت ده من بره عادي، مبني من خشب قديم وحيطانه متشققة، بس من جوه... كان كابوس.

كل أهل القرية كانوا بيبعدوا عنه، بس إحنا، الجيران الفضوليين، كنا دايمًا بنسأل نفسنا:

"إيه اللي مخبي فيه؟"

العيلة اللي جت تسكن فيه كانت عائلة بسيطة: راجل اسمه مكسيم، ست اسمها آنا، وولدين كبار شوية، حوالي ١٠ و١٢ سنة.

أول يومين، كله كان طبيعي. العيلة بتتحرك، بتضحك، الأطفال بيلعبوا.

بس أول ما الليل يجي، كل حاجة تتغير.

اللي لاحظته في أول ليلة هو صوت خافت جاي من الدور العلوي، زي بكاء طفل بس عميق وغريب، مش طبيعي.

بعد كده، سمعت أصوات غريبة تانية... خشخشة في الأرض، صوت كراسي بتتحرك من غير ما حد يقربها، وأحيانًا همسات مش مفهومة.

بعد حوالي أسبوع، بدأت الأحداث تتحول لرعب مطلق.

في نص الليل، سمعت صراخ الولد الكبير... ركضت على البيت، لقيت الباب مفتوح جزئي، والولد واقف على السلم كأنه مش قادر يتحرك. عيونه كانت مليانة خوف... ووشه باهت كأنه شاف الموت بعينه.

قاللي بصوت خافت ومبحوح:

"هو... هو هنا... البيت... بيت مش بيتنا... هو أخدنا."

الأم حاولت تهديه، بس الولد وقع على الأرض وبدأ يبكي بصوت عميق وغريب جدًا، كأنه مش صوت إنسان.

الأب... ماكنش بيتحرك، واقف ساكت كأنه مش موجود، بس كان في عينيه لمعة... لمعة مرعبة، كأنه شايف حاجة مش من عالمنا.

من اليوم ده، كل اللي في البيت بدأ يتغير.

الأطفال بقى عندهم تصرفات غريبة: مرات بيتكلموا مع نفسهم، أحيانًا بضحك مش طبيعي في نص الليل، ومرات يبقوا صامتين لمدة ساعات كأنهم مسلوبين.

في ليلة، أنا كنت واقف جنب الشباك، ولقيت ظلالات في الممر... كيان أسود طويل، مالهوش شكل محدد، بس عيونه حمرا. الكيان ده مش بيجري، بس بيتحرك بسرعة مخيفة، وكل ما يقرب من البيت، الأصوات تزيد... بكاء، صراخ، وصرير زي اللي بيقطع العظم.

وبعد كام يوم، حصل أول حادث دموي. الأطفال لقوهم مرميين في المطبخ... دمهم كان على الحيطان والأرض... بس جسمهم سليم، وملامحهم متغيرة كليًا. عيونهم كانت سودا، وحركتهم بطيئة وغريبة، زي ما لو روحهم اتسحبت... وأنا ما صدقتش نفسي.

بعد كده، الكيان بدأ يظهر أكتر...

مرات يقف قدام البيت بس من غير ما حد يشوفه إلا أنا، مرات يدخل جوه البيت ويمشي بين الجدران بدون صوت.

الأهل حاولوا يهربوا، بس كل مرة لما يخرجوا من البيت... يلاقوا نفسهم جوه الغابة اللي حوالين البيت، مش قادرين يلاقوا الطريق.

اللي حصل بعد كده كان الأسوأ...

ليلة ما تتنسيش في حياتي.

كنت قاعد على السطوح، وبصيت على البيت، شُفت الأب... راجل كبير، واقف قدام الباب، وبيصرخ بصوت مش بشري:

"ارحموني... هو خدنا... هو خدنا...".

وبينما هو بيصرخ، الكيان ظهر فجأة، طويل أسود، عيونه حمرا زي النار...

ومش بس كده، البيت كله اتحول...

الجدران اتكسرت، الأرض اتشققت، والأصوات زادت لدرجة إن الدماغ بتاعتك مش قادرة تتحمل.

أنا حاولت أجري، بس رجلي كانت زي متجمدة.

شُفت الكيان بياخد الأب ويبص لي... لحظة واحدة حسيت إن نظره اخترق قلبي وروحي.

الأب اختفى في الهواء قدامي.

الأم والولدين بقى أثرهم غير معلوم...

وبيتهم، اللي كان بيت خشب عادي، اختفى مع كل اللي جوه... كأن الأرض ابتلعتهم.

من ساعتها، أهل القرية فضلوا يبعدوا عن المكان، بس أنا... كل مرة بفكر فاللي شُفته، بسمع الهمسات اللي بتجيلك في نص الليل، زي صوت الكيان بيقولي:

"جايلك... جايلك... ما حدش يهرب."

بعد ما شُفت الكيان بياخد الأب وبيتلع البيت كله تقريبًا، أنا جريت بعيد، قلبي بينط بسرعة مجنونة.

الجو كله كان ساكت، إلا من أصوات همسات جاية من كل ناحية، كأن الأرض نفسها بتتنفس.

الناس في القرية سمعوا صوت صراخي، بس محدش قدر ييجي ينقذني... محدش قدر يقرب من المكان.

أنا طول الليل واقف بعيد عن البيت، وببص على الغابة...

كنت شايف ظلالات الكيان بتتحرك بين الشجر، زي لو بيتابع كل خطوة.

وفجأة... شُفت حاجة ماكنتش أتخيلها في حياتي... الأطفال، الولدين، واقفين جنب بعض في نص الغابة، عيونهم سودا خالص، صامتين كأنهم مش عارفين يتحركوا إلا لما الكيان يديهم إشارة.

اللي حصل بعد كده خلّى قلبي يتوقف.

الكيان... دخل الغابة بسرعة مش طبيعية، وأمسك الولدين... وكل مرة الولد يكلم نفسه، الكيان يصرخ بصوت عميق، زي صوت براكين مولعة. الجو كله اتغير... الريح اتوقف، والأشجار حوالين البيت اتلوّت كأنها بتحاول تمنعك من الهروب.

أنا حاولت أجري وأسيب المكان... لكن كل ما أتحرك... بلاقي نفسي راجع لنفس المكان، جنب البيت المهجور، زي لو

لعنة البيت مش عايزاني أهرب. وسمعت صوت بارد جداً بيقولي:

"مين فضولي هنا؟ مش هتقدر تخرج... مش هتقدر تشوفهم تاني."

الليل ده استمر ساعات طويلة، حسيت فيها كأن الزمن وقف. سمعت صراخ الأم، الصوت كان مكتوم، كأنها مش بتصرخ بس روحها بتصرخ. وبعدين شُفت الدم... الدم كان بيتصب على الحيطان، مش طبيعي... شكل دم حقيقي، لكن الجو كله اتغير حواليه، والريحة... ريحة الموت والحديد... كأن البيت نفسه بيتمدد ويمتص الحياة.

في نص الليل، الكيان قرب مني... عيونه حمرا، جسمه أسود طول جداً، ماكنش له شكل محدد... بس أنا حسيت بيه... حسيت إنه بينظر جوه قلبي. وأنا مش قادر أتحرك... فجأة... لقيت الأب رجع، مش كامل، جسمه متقطع، وشه

مغطى بدم... صوت قلبه متقطع، ومش قادر ينطق... ولما بصيت في عيونه... شُفت الرعب نفسه.

بعد كده، بدأ الكيان يختفي ويظهر... كل مرة يظهر، بيتحرك دم الناس اللي في البيت حوالين المكان... بيكتبوا كلمات على الحيطان:

"احذر... احذر... مش هتنجو... هو بيراقبك."

أنا حاولت أصيح، أنادي حد... بس الصوت بتاعي ما خرجش، كأن البيت امتصه. ومرت الأيام... القرية كلها ابتدت تتهد... ناس اختفت، بيوت اتحطمت من غير سبب، والكل كان شايف ظلالات الكيان حوالين القرية، بس محدش كان قادر يقرب.

في يوم، شُفت الحاجة الأكثر رعبًا... البيت المهجور فتح بوابة لوحده، والكيان خرج... والأم والولدين واقفين جنبه، مش قادرين يتحركوا. الكيان رفع إيده، والدمية بتاعة الطفل

الكبير اتشقّت، والكيان... ضحك بصوت عميق جداً... ضحكته كانت تقتل العقل.

أنا ركضت... وفضلت أركض لحد ما الشمس طلعت. لما الناس شافوني، كنت مش قادر أتكلم... وجسمي كله بيرتعش. حاولت أحكي... بس محدش صدقني... كل اللي شافوا البيت بعد كده، قالوا:

"مش ممكن... البيت مش موجود... بس كل مرة حد يقرب من المكان، يسمع صرخات... دم... ويختفي."

ومن ساعتها، كل مرة أمشي جنب الغابة دي، بحس إن في حاجة بتراقبني... همسة في ودني:

"جايلك... جايلك... مش هتقدر تنجو... هو لسه هنا."

أنا شايف لحد دلوقتي ظلالات الأطفال... الأب، الأم، مش قادرين يتحركوا... والكيان... باقي... بيتحرك حوالين

القرية... واللعنة مستمرة. وأي حد يفكر يقرب... هيسمع نفس الهمسات... وهيشوف نفس الرعب اللي أنا شُفته...

البيت ده... مش مجرد بيت... هو كيان... شيطان... لعنة دموية... ومش هيفلت أي حد يقترب... وكل اللي شُفته... حقيقي... أنا شايفه بعيني... وقلبي مازال بيرتجف لما أفكر فيه.

شبح أوكاياما:
قصة الخيانة والعقاب

في أوائل الألفية الجديدة، تحديداً في عام ٢٠٠٢، كانت قرية أوكاياما الصغيرة في محافظة هيوغو باليابان تبدو كلوحة فنية هادئة من لوحات أوكيو يوشيتو.

الجبال الخضراء تحيط بالبيوت الخشبية التقليدية، والأرز يتمايل في الحقول تحت أشعة الشمس الدافئة.

كانت القرية بعيدة عن صخب طوكيو، حيث يعيش الناس حياة بسيطة، يعتمدون على الزراعة والمصانع الصغيرة المجاورة.

لكن تحت هذا الهدوء، كانت تختبئ أسرار مظلمة، أسرار تذكر بالأرواح الغاضبة في الأساطير اليابانية القديمة -تلك الأونريو- أرواح النساء المهانات التي تعود للانتقام، أو ربما أرواح الرجال المظلومين التي تطارد الخائنين.

هيروشي تاناكا كان رجلًا في الثلاثينيات من عمره، موظفًا في مصنع لإنتاج السيارات في مدينة كوبي القريبة.

كان هيروشي رجلًا طيبًا، لكنه بسيط، يعود كل يوم إلى بيته المتواضع في أوكاياما بعد نوبة عمل طويلة.

زوجته، أيكو، كانت في الثامنة والعشرين، امرأة جميلة ذات شعر أسود طويل يتدفق كشلال على كتفيها، وعيون بنية عميقة تخفي وراءها حاجة لشيء أكبر من الحياة الرتيبة.

تزوجا قبل خمس سنوات، في حفل بسيط في معبد شينتو محلي، حيث وعد هيروشي ببناء منزل أفضل وطفلين يملآن الفراغ.

لكن السنوات مرت، والأطفال لم يأتوا، والحياة بقيت كما هي: صباحات من الشاي الأخضر والأرز المطبوخ، ومساءات من الجدال الهادئ حول المال القليل.

بدأت الخيانة في ربيع عام ٢٠٠١، عندما انتقل كينجي ساتو، شاب في الثلاثينيات أيضًا، إلى القرية كمدير لمتجر صغير لبيع الأدوات الزراعية.

كان كينجي مختلفًا عن هيروشي؛ طويل القامة، ذو ابتسامة ساحرة، وروايات عن حياته في أوساكا حيث عمل في شركة تقنية قبل أن يعود إلى الريف ليبدأ من جديد.

التقى بأيكو في سوق القرية، حيث كانت تشتري بذور الأزهار لمنزلها. تحدثا عن الطقس، ثم عن الحياة، ثم عن الملل الذي يأكل الروح.

سرعان ما أصبحت اللقاءات سرية: في الغابة خلف التلال، أو في غرفة الخلف في متجره بعد إغلاقه.

كانت أيكو تشعر بالحيوية لأول مرة منذ سنوات؛ كينجي كان يهمس لها كلمات حب يابانية قديمة، ويعد بأن يأخذها بعيدًا إلى طوكيو حيث الحياة مليئة بالأضواء والإمكانيات.

لكن السر لم يدم طويلاً.

في ليلة شتوية باردة من ديسمبر ٢٠٠١، عاد هيروشي مبكرًا من المصنع بسبب عطل في الآلات. سمع صوتًا خافتًا في المطبخ، ثم رأى رسالة نصية على هاتف أيكو الذي تركته على الطاولة:

"الليلة في الغابة. لا تنسي الوردة الحمراء."

الوردة الحمراء كانت إشارة سرية بينهما.

شعر هيروشي بقلبه ينفطر؛ لم يكن غبيًا، لكنه لم يتخيل أن زوجته، التي يحبها بكل بساطة، يمكن أن تخونه.

تسلل إلى الغابة، حيث وجدهما: أيكو في أحضان كينجي، ضحكاتهما تخترق الظلام مثل سكاكين.

في اليوم التالي، واجه هيروشي أيكو في المنزل. كانت الشمس تشرق ببطء على الحقول، لكن الجو كان ثقيلاً كالرصاص.

"منذ متى؟"

سأل بصوت هادئ، يحاول الحفاظ على كرامته.

انفجرت أيكو في البكاء أولًا، ثم اعترفت بكل شيء.

"أنا آسفة، هيروشي. الحياة هنا... تقتلني ببطء. كينجي يجعلني أشعر بالحياة."

لم يغضب هيروشي بعنف؛ هو الرجل الياباني التقليدي، يفضل الصمت على الفضيحة.

طلب الطلاق، لكنه حذرها:

"إذا ذهبتِ معه، سأخبر الجميع. القرية صغيرة، والعار سيلحق بكِ إلى الأبد."

خرج تاركًا إياها وحدها، لكن الكلمات تلك أشعلت في أيكو خوفًا عميقًا.

في اليابان الريفية، الخيانة ليست مجرد خطأ شخصي؛ إنها فضيحة تعزل المرء عن المجتمع، عن العائلة، عن المعبد نفسه.

تلك الليلة، اتصلت أيكو بكينجي. كانا في شقته الصغيرة فوق المتجر، يرتديان كيمونو خفيفة، يشربان السالغرينا الساخنة. "هو يعرف، كينجي. يريد الطلاق، لكنه سيفضحنا. لا أستطيع العيش هكذا... العار سيقضي عليّ."

كان كينجي هادئًا، يداعب شعرها بينما يفكر.

كان قد ارتكب أخطاء في الماضي -سرقة صغيرة في أوساكا، علاقة سابقة انتهت بمشكلات - لكنه لم يكن قاتلًا.

ومع ذلك، الخوف من فقدان أيكو، والحرية التي يحلم بها معها، دفعاه إلى اقتراح شيء مرعب.

"ماذا لو... ننهي الأمر؟ لا يوجد هيروشي، لا عار. نهرب إلى المدينة، نبدأ من جديد."

ترددت أيكو، لكن اليأس غلبها.

"كيف؟"

سألت بصوت مرتجف.

ابتسم كينجي ابتسامة مظلمة:

"أعرف شخصًا في المدينة. سم قوي، لا أثر. يُدعى سيانيد البوتاسيوم. سريع، غير مؤلم."

خلال الأسابيع التالية، بدأت الخطة تتشكل ببطء، مترابطة كخيوط العنكبوت.

كان هيروشي يحاول إصلاح الأمر؛ يعود مبكرًا، يحضر هدايا صغيرة مثل صندوق شوكولاتة من كوبي، يتحدث عن العائلة. لكنه لاحظ تغييرًا في أيكو: ابتسامتها أصبحت مصطنعة، عيونها تتجنب نظرته.

في الوقت نفسه، كان كينجي يتواصل مع صديق قديم في أوساكا، يدعى تاكاهيرو، تاجر أدوية غير شرعي.

اشترى الكمية الصغيرة مقابل ٥٠,٠٠٠ ين، مخفية في علبة أعشاب صينية.

أرسلها إلى المتجر عبر البريد، مع تعليمات دقيقة:

"ذوبيها في الشاي، لا تتركي أثرًا."

كانت الفرصة في عيد ميلاد هيروشي، في ١٥ فبراير ٢٠٠٢. أعدت أيكو عشاءً تقليديًا: سوشي طازج، تيمبورا، وشاي أخضر ساخن.

كان المنزل مضاءً بفوانيس ورقية، والجيران بعيدون بسبب الثلج الخفيف الذي غطى الطرق.

جلس هيروشي على الطاولة المنخفضة، سعيدًا بجهودها، غافلًا عن السم الذي ذاب في الشاي.

"شكرًا لكِ، أيكو. ربما نستطيع البدء من جديد."

ابتسمت هي، ترتجف يدها وهي تمد الكوب.

شرب ببطء، يتحدث عن خططه لشراء سيارة جديدة.

بعد دقائق، شعر بدوار، ثم ألم حاد في الصدر.

"ما هذا؟"

همس، ثم سقط على الأرض، جسده يتشنج.

هرعت أيكو إليه، تتظاهر بالذعر، ثم اتصلت بالإسعاف. لكن السم كان سريعًا؛ مات هيروشي قبل وصول السيارة، رسميًا بسبب "نوبة قلبية مفاجئة"، كما قالت التقارير الطبية. الشرطة لم تشك؛ كان هيروشي يعمل بجد، والحوادث القلبية شائعة في الريف.

في الأيام الأولى بعد الجنازة، شعرت أيكو وكينجي بالحرية. باعت أيكو المنزل بسرعة، وانتقلت إلى شقة كينجي فوق المتجر.

كانا يخططان للهروب إلى كيوتو، حيث يفتح كينجي متجرًا أكبر. لكن الليالي الأولى كانت غريبة.

في الليلة الثالثة، سمعت أيكو طرقًا خفيفًا على الباب. فتحت، لكن لا أحد.

في الصباح، وجدت وردة حمراء ملطخة بدماء على العتبة، الوردة السرية.

اعتقدت أنها صدفة، لكن كينجي شعر بشيء آخر؛ في حلمه، رأى هيروشي يقف في الظلام، عيناه حمراء، يهمس:

"لماذا؟"

بدأت الرؤى تتكاثر.

في البداية، كانت صغيرة: صوت خطوات في الغرفة الفارغة، رائحة الشاي الأخضر في الهواء رغم عدم غليانه.

ثم أصبحت أقوى.

في أواخر فبراير، بينما كان كينجي يقود سيارته القديمة إلى كوبي لشراء بضائع، شعر بيد باردة على كتفه.

نظر في المرآة الخلفية، ورأى وجه هيروشي: شاحب، مع ابتسامة ملتوية، يقول: "أنت الذي ساعدها." انحرفت السيارة عن الطريق، اصطدمت بحاجز، وكسر كينجي ذراعه.

في المستشفى، روى القصة لأيكو، لكنها ضحكت: "أحلام، يا عزيزي. التوتر فقط."

لكن التوتر كان يأكلها هي أيضًا.

في ليلة مارس، استيقظت أيكو على صوت بكاء طفل. لم يكن لديها أطفال، لكن الصوت كان حقيقيًا، يأتي من الحائط.

نهضت، أشعلت الضوء، ورأت ظلاً طويلاً يمتد على السقف، شكل هيروشي، يرتدي الكيمونو الذي مات فيه.

"الطفل الذي لم نجده... بسببكِ."

همس الشبح، ثم اختفى.

في الصباح، وجدت أيكو جرحًا غريبًا على ذراعها، كأنه مخلب. بدأت تشرب الكحول للنوم، لكن الأحلام جاءت أسوأ: هيروشي يطاردانهما في الغابة، يسحب كينجي إلى الأرض بأي شفافة.

مع اقتراب الربيع، أصبحت الأحداث مترابطة بشكل مرعب، كأن الشبح يبني سيناريو انتقامه خطوة بخطوة.

في ١٠ أبريل، أثناء تنظيف المتجر، سقطت علبة أدوات على كينجي من الرف العلوي، كسرت ساقه.

الشرطة اعتبرتها حادثًا، لكن كينجي تذكر اليد الباردة في الحلم السابق.

أيكو بدأت ترى هيروشي في الزوايا: يقف بجانب المرآة أثناء غسل وجهها، ينظر إليها بعيون دامعة.

"أنا آسفة!"

صاحت ذات ليلة، لكن الشبح رد:

"السم كان باردًا، مثل قلبكِ."

بدأت القرية تهمس؛ الجيران يلاحظون غرابتهما، يتجنبونهما في السوق.

زار كاهن المعبد أيكو، حذرها من "الأرواح الغاضبة"، واقترح طقس تطهير شينتو، لكن أيكو رفضت؛ كانت تخاف من الكشف.

الذروة جاءت في مايو ٢٠٠٢، خلال مهرجان أوكاياما السنوي للأزهار.

كان الجميع في الشوارع، يرتدون يوكاتا ملونة، يشاهدون الرقصات التقليدية.

قرر كينجي وأيكو الذهاب، محاولين الاندماج. لكن أثناء المشي في الغابة المظلمة خلف المهرجان -المكان الذي التقيا فيه أول مرة - سمعا خطوات ثقيلة.

التفتا، ورأيا هيروشي: ليس شبحًا شفافًا هذه المرة، بل شكلاً كثيفًا، ينزف من فمه، يرتدي ملابس الجنازة.

"حان الوقت."

قال، ومد يده.

شعر كينجي بسحب قوي، سقط أرضًا، وهو يصرخ من ألم غير مرئي، كأن أظافر تخدش جسده.

هربت أيكو، لكن الشبح تبعها إلى المنزل، حيث أغلقت الأبواب، تصرخ:

"غفرانك، هيروشي! كنت خائفة!"

في الصباح، عثر الجيران على كينجي ميتًا في الغابة، جسده مليء بالجروح الغريبة، كأنه هاجمه حيوان بري.

الطبيب الشرعي قال إنها "نوبة هلع أدت إلى سكتة دماغية"، لكن الهمسات انتشرت: شبح هيروشي. أيكو، وحيدة الآن، بدأت في الاعتراف.

في ٢٠ مايو، ذهبت إلى الشرطة في كوبي، روت كل شيء: الخيانة، السم، الخطة.

ألقي القبض عليها، وحكم عليها بالسجن مدى الحياة في محكمة أوساكا عام ٢٠٠٣.

لكن قبل التنفيذ، في زنزانتها، استمرت الرؤى.

كانت تسمع صوته كل ليلة:

"الآن، أنتِ معي إلى الأبد."

حتى اليوم، في أوكاياما، يحذر الكبار الأطفال من الغابة في الليالي المظلمة.

يقولون إن روح هيروشي لا تزال هناك، تنتظر الخائنين.

القرية تغيرت قليلاً؛ المصنع أغلق، والشباب هاجروا إلى المدن.

لكن القصة بقيت، تُروى في المعابد كتحذير من الخيانة والطمع.

هل كان شبحًا حقيقيًا؟

أم ضميرًا يعذب؟

في اليابان، الحدود بين الواقع والروح غامضة دائمًا.

وفي عام ٢٠٠٢، في تلك القرية الهادئة، اختلط الاثنان، مخلفًا ويلات لا تُنسى.

الساحرة دي بلاكفيل:
قصة الليالي اللي ما بتتنسيش

يا جماعة، في التسعينيات، بالتحديد سنة ١٩٩٣، كانت قرية بلاكفيل الصغيرة في إنجلترا، في مقاطعة يوركشاير، زي لوحة قديمة من أفلام الرعب البريطانية دي.

التلال الخضرا اللي مليانة غنم، والكوخات الحجرية اللي مبنية من زمن الملكة فيكتوريا، والضباب اللي بيغطي الطرق الترابية كل صباح زي سحابة بيضاء سميكة.

القرية دي بعيدة عن المدن الكبيرة زي ليفربول أو لندن، حوالي ٥٠٠ نسمة بس، معظمها مزارعين بيزرعوا الشعير والقمح، وبتعتمد على مصنع جبن صغير في الوسط.

الجو هناك هادئ، بس في الليالي الشتوية، لما الرياح بتصفر بين الأشجار، بتحس إن في حاجة مش طبيعية بتتحرك في الظلام. وده اللي حصل فعلاً، حسب اللي رووه الناس اللي عاشوا الليالي دي، واللي لسه بيحكوا عنها في الحانات المحلية لحد دلوقتي.

القصة دي عن امرأة اسمها إليزابيث هاريسون، أو زي ما الناس سمّوها بعدين "الساحرة إليزا"، كانت في الخمسينات من عمرها، عجوزة بس شكلها غريب شوية.

شعرها أسود طويل متشابك زي خيوط عنكبوت، وعيونها خضرا زي لون السم، وبتلبس دايمًا فستان أسود طويل من قماش خشن، زي اللي بيلبسوه في العصور الوسطى.

انتقلت إلى بلاكفيل سنة ١٩٨٨، بعد ما ورثت كوخ قديم على طرف القرية، جنب الغابة اللي اسمها "وايكوود فوريست"، غابة كثيفة مليانة أشجار بلوط قديمة وأوراق متساقطة في الخريف.

قالوا إنها جات من لندن، بعد ما زوجها مات في حريق غامض، وهي كانت بتعمل ممرضة في مستشفى الأطفال هناك.

بس الناس في القرية ما صدقوش الكلام ده كله؛ شافوها أول مرة في السوق، بتشتري أعشاب غريبة زي الدفلى السودا والقرنفل البري، وبتسأل عن الأطفال الصغيرين بطريقة مش عادية.

إليزا كانت بتحب الأطفال بشكل مرعب. كل يوم جمعة، بتروح لمدرسة القرية الصغيرة، اللي فيها حوالي ٥٠ طفل، وبتوزع حلويات مصنوعة في البيت: كوكيز بالزنجبيل مليانة توابل حارة، أو شوكولاتة بنكهة غريبة زي التراب والعسل.

الولاد الصغيرين بيحبوها، عشان هي بتحكيلهم قصص عن جنيات الغابة والوحوش اللي بتحميهم، بس القصص دي دايمًا بتنتهي بكلمة "وبعدين الشيطان بيجي ياخد اللي مش مطيع".

الأمهات كانوا بيضحكوا في الأول، يقولوا "دي ست عجوز لطيفة"، بس مع الوقت، لاحظوا إن الأطفال اللي بياكلوا

الحلويات دي بيبقوا عصبيين، وبيحلموا بكوابيس عن عيون حمراء في الظلام.

واحدة من الأمهات، اسمها ماري سميث، كانت بتشتغل في مصنع الجبن، قالت لجارتها:

"أنا شايفة بنتي بترجع البيت بطاقة غريبة، زي لو حد سحب منها الروح شوية شوية."

الأحداث بدأت تترابط في خريف ١٩٩٢، لما اختفى أول طفل. اسمه تومي جونز، ولد في السابعة، شعره أشقر زي الشمس، وبيحب يلعب في الغابة رغم تحذيرات أبوه.

آخر مرة شافوه فيها كان بعد المدرسة، بياكل كوكيز إليزا وهي بتقوله:

"تعالى معايا، يا ولدي، عندي سر عن الجنيات في الكوخ."

في اليوم اللي بعده، القرية كلها اتقلبت.

الشرطة من يورك جات، بحثوا في الغابة، لقوا بس حذاء تومي ملطخ بدماء حيوان، جنب شجرة بلوط كبيرة. الوالدين صاحوا في اجتماع الكنيسة:

"في ذئب بري هنا!"

بس اللي عاش في بلاكفيل يعرف إن مفيش ذئاب من سنين، والغابة دي ملعونة من أيام الحروب الإنجليزية القديمة، لما كانوا بيعدموا السحرة هناك.

إليزا كانت هادية خلال التحقيق. راحت لعزاء عائلة جونز، معاها طبق كيك، وقالت:

"الرب بياخد اللي يستاهلهم."

الكاهن، الأب جون، اللي كان راجل طيب بس خايف شوية، نصحها تروح تدفن الأعشاب دي في الكنيسة، بس هي ضحكت ضحكة خفيفة زي صوت الريح في الشجر.

بعد أسبوعين، اختفى طفل تاني: سارة ويليامز، بنت في السادسة، بنت هادية بتحب الرسم. آخر مرة شافوها، كانت بتروح لكوخ إليزا عشان "تتعلم سحر الزهور"، زي ما قالت لأمها.

البحث التاني كان أكبر، والشرطة لقوا في الغابة دمية قماش مصنوعة يدويًا، مليانة شعر أشقر زي تومي، ودبابيس حديد مدفونة فيها.

الهمسات بدأت: "دي سحر أسود، زي اللي في الكتب القديمة."

مع بداية الشتاء، في ديسمبر ١٩٩٢، الأمور ساءت.

إليزا بدأت تتصرف بغرابة أكتر. الناس شافوها في الليالي، بتنزل للغابة حاملة مصباح زيت قديم، بتغني أغاني غريبة بلغة مش إنجليزي، زي لاتيني قديم أو شيء أقرب للهمس الشيطاني.

واحد من المزارعين، بيل كوبر، اللي كان بيحرس غنمه، قال إنه سمع صوت أطفال بيضحكوا من الغابة، مع صوت هرير[1] منخفض زي كلب كبير.

في عيد الميلاد، وزعت إليزا دعوات لـ"حفلة للأطفال المختارين" في كوخها، بس الأمهات رفضوا.

ماري سميث، اللي بنتها كانت بتلعب مع سارة، قررت تتجسس.

راحت للكوخ في ليلة باردة، من خلال النوافذ المتشققة، شافت إليزا قاعدة حوالين نار صغيرة، بتحرك يديها زي لو بتستدعي حاجة.

على الأرض، رسومات بالفحم: نجوم مقلوبة، ووجوه شياطين بقرون، وأسماء أطفال مكتوبة بدماء حمراء. وفي الوسط، عظام صغيرة، زي عظام طيور أو... أصغر.

[1] الهرير هو صوتُ الكلب دون النُّباح.

الاكتشاف الكبير حصل في يناير ١٩٩٣. مجموعة من الشباب في القرية، بقيادة جاك هاريس، ولد في العشرينات بيشتغل في المصنع، قرروا يدخلوا الغابة بنفسهم.

كانوا مسلحين بعصي وبكلاب، بعد ما سمعوا عن الاختفاءات. لقوا كهف صغير مخفي خلف شلال مجمد، داخل الكهف، ريحة غريبة زي لحم محروق، وجدران مليانة رموز سحرية محفورة بالسكين.

في الوسط، مذبح حجري، عليه بقع دماء جافة، وكتاب قديم مكتوب بخط يد: "كتاب الشياطين الجائعين". اللي فتحه جاك كان فيه وصفات لاستدعاء الشياطين، وطقوس لـ"تغذية الرب الأسود" بـ"لحم البريء"، يعني الأطفال.

وفي الصفحات الأخيرة، أسماء: تومي، سارة، وطفل تالت كانوا فاكرين إنه هرب، اسمه ليام براون، اللي اختفى قبل شهر.

القرية انفجرت. الوالدين هجموا على كوخ إليزا في اليوم اللي بعده، بس لقوه فاضي. هي كانت هربت للغابة، بس تركت مذكرات: كانت بتكتب عن "الصوت" اللي سمعته أول مرة في لندن، صوت شيطان اسمه "بيلزيبول"، اللي وعد إنها هتعيش إلى الأبد لو غذته بدماء الأطفال.

قالت إنها مش بس بتاكلهم، لا، بتستدعي الشياطين عشان يشاركوها، وبتحس إنها جزء من قوة أكبر.

الشرطة جات تاني، بس المذكرات دي اختفت في حريق غريب في مركز الشرطة، قالوا إنه كهربا، بس الناس قالوا إن إليزا عملت سحر.

السيناريو القوي بدأ يترابط لما إليزا رجعت. في فبراير ١٩٩٣، ليلة القمر الكامل، سمعت القرية صرخات من الغابة.

جاك وماري ومجموعة تانية راحوا، لقوا إليزا في الكهف، قاعدة حوالين نار كبيرة، بتغني، وخلفها ظلال سودا زي أشكال بشرية مشوهة، عيونها حمراء زي جمر.

كانت بتحمل طفل رابع، بنت اسمها إيما، اللي خطفتها من بيتها قبل ساعات.

الشياطين -أو اللي شافوه زي شياطين- كانوا بيحوموا حواليها، صوتهم زي عواء ريح.

إليزا صاحت: "الجوع ده مش هيخلص! الأطفال دول وقود للعالم الجديد!"

الجماعة هاجموها، بس الظلال دي هاجمت الكلاب، خلتها تهرب مذعورة، وجاك انجرح في ذراعه زي لو مخالب خدشته.

الشرطة أخيرًا تدخلت بقوة.

في ١٥ مارس، غزوا الغابة بكلاب شرطة وأضواء، لقوا إليزا في الكهف، رابطة نفسها بحبال، بتحاول تستدعي طقس أخير.

معاها عظام الأطفال التلاتة، مرتبة في دائرة، وكتاب مفتوح على صفحة "الانتقام".

اعترفت بكل حاجة:

قالت إنها بدأت في لندن بطقوس صغيرة، بس الشيطان طلب أكتر، فجت بلاكفيل عشان "الأرض هنا مليانة أرواح قديمة". أكلت أجزاء من الأطفال، مش كلهم، عشان "تحافظ على الجوهرة" للشياطين، والباقي دفنته في الغابة.

التحقيق كشف إنها قتلت خمسة أطفال على مدار خمس سنين، بس التلاتة دول كانوا الأخيرين.

المحاكمة في يورك كانت في صيف ١٩٩٣، إليزا وقفت في المحكمة بفستانها الأسود، عيونها بتلمع، بتقول للقاضي:

"الشياطين هترجع، والقرية دي هتبقى مذبح."

حكموا عليها بالسجن مدى الحياة في مصحة نفسية، بس في الزنزانة، قالوا إنها بتغني كل ليلة، والحراس بيشوفوا ظلال حواليها.

الأطفال اللي نجوا، زي بنت ماري، بدأوا يحلموا بنفس الكوابيس، وعظام صغيرة لسه بتطلع في الغابة كل خريف.

بلاكفيل تغيرت بعد كده.

المدرسة سُدت، والناس هاجروا، والغابة بقت ممنوعة.

لحد دلوقتي، في الحانة القديمة، بيحكوا القصة دي زي تحذير:

"متقربش من الكوخ المهجور، ومتاكلش حلويات الغرباء."

هل كانت ساحرة حقيقية؟

ولا مريضة نفسية؟

في إنجلترا، اللي مليانة أساطير عن السحر، الحدود مش واضحة.

بس في ١٩٩٣، في بلاكفيل، الشياطين كانت حقيقية، والجوع ده أكل أرواح كتير.

مذبحة هيل كريك

"لما الأرض بلعت قرية كاملة"

ولاية مونتانا، أمريكا ـــــ أكتوبر ١٩٨٩.

قرية صغيرة على أطراف الغابات، اسمها هيل كريك، كانت مأهولة بحوالي ٨٠٠ شخص، مزارعين وصيادين، وناس بتعيش على النهر اللي بيعدي من نصها.

مافيهاش مركز شرطة، بس فيها كنيسة صغيرة ومدرسة ابتدائية.

كانت قرية هادية لدرجة إن الناس في الولاية نسيو إنها موجودة أصلًا.

في يوم ١٧ أكتوبر، الساعة كانت حوالي ٢:٣٠ بعد نص الليل. الشرطة في المدينة الأقرب استقبلت مكالمة غريبة جدًا من سيدة اسمها "مارغريت لانغ"، صوتها كان مرعوب، وبتصرخ: "السماء بتتحرك! في حاجة بتنزل على البيوت!"

وبعدين الاتصال قطع.

لما حاولوا يتصلوا تاني، الخط طلع عطلان.

الشرطة اتحركت في الفجر، ٣ عربيات دورية ومعاهم إسعاف. المسافة حوالي ٤٠ ميل من أقرب بلدة اسمها بيترسون.

لما وصلوا، الطريق المؤدي لهيل كريك كان كأنه مهجور بقاله سنين: العشب مغطي الأسفلت، وريح باردة غريبة جداً كانت طالعة من اتجاه القرية.

أول بيت دخلوا عليه كان بيت مارغريت نفسها.

البيت فاضي، باب مفتوح، الأكل على المائدة، وكأن الناس اختفوا في لحظة...

بس في حاجة غريبة: كل المرايات في البيت متغطية بملاءات، والكلب اللي عندهم متجمد في مكانه فعلاً متحجر، زي تمثال! الفريق قرر يبات هناك.

واحد من رجال الشرطة، اسمه "جون بيدل"، كتب في تقريره اللي اتسرب بعدين:

"الهواء بيصدر صوت زئير خفيف، كأنه ريح جاية من جوه الأرض، وكل لما حد يقف ساكت يسمع صوت ناس بتهمس باسمه."

التقرير ده هو آخر حاجة اتكتبت رسميًا عن اللي حصل في القرية.

تاني يوم الصبح... لما وصلت قوة الدعم، ماكانش فيه أي حد من الفريق الأول! العربيات موجودة، أجهزة اللاسلكي مكسّرة، والأغرب: الأرض حوالين بيوت القرية كانت طرية جدًا كأنها بتتنفس.

بعد أسبوع، اتقال إن السلطات لقوا شريط تسجيل في عربية الشرطة الأولى، والشريط ده لما اتسمع في المختبر، كان عليه أصوات متقطعة وصرخات، وفي لحظة فيه صوت راجل بيقول:

"ما تبصّوش فوق! متبصّوش فـ..."

وبعدين صرخة قوية جدًا، وبعدها صمت تام.

لما القوات الفيدرالية وصلت، كانت القرية اختفت بالكامل. مش فاضية؛ لا، اختفت. زي ما الأرض بلعتها.

الخرائط القديمة بتوضح موقعها، لكن متقدرش تروح هناك. النهارده، تلاقي غابة صغيرة فيها صمت خانق، ولا طيور، ولا صوت هواء، ولا إشارة.

بس كل فترة، ناس من الصيادين بيحلفوا إنهم بيشوفوا نور خافت في عمق الغابة، زي مصباح بيفتح ويقفل ببطء، ولو حد قرب منه... بيختفي.

وفيه ناس بيقولوا إنهم لما بيعدّوا من الطريق اللي بيطل على الغابة دي، الراديو في عربيتهم بيشتغل لوحده...

ويذيع جملة بصوت مشوش: "هنا هيل كريك... لو في حد سامعنا، رجّعونا..."

فهرس

كفر باسط.. وبيت الظل ٥

ظلال مِرابي "الكيان الذي جاء مع البركان"..... ١٥

الظلام في كولفينيوم..... ٢٥

لعنة الأعماق "ملف الإسكندرية السري" ٣٥

قرية "إيردون" الحكاية التي لا ينبغي أن تُروى..... ٤٣

لعنة عزبة أبو النور..... ٥٣

حادثة حوش الجِمال..... ٦٣

"كوخ فالدنهايم" رعب الريف الألماني..... ٧١

حادثة آشلي كانساس..... ٧٩

مشرحة سانت جيمس "الطبيب اللي رجع من الموت مرتين"..... ٩١

حادث بحيرة إلوين "الملف اللي اختفى من أرشيف الشرطة البريطانية"..... ١٠٣

توبة الساحر "ملف قرية عين الجبل-١٩٩٤".....١١٣

عِشق النار "حكاية الشيخ عمران من قرية الطوال" ١٢٧

حادثة "قرية العوينة" في الصعيد.....١٣٧

الدار اللي مطلعلهاش صبح.....١٤٥

البيت اللي ما حدش رجع منه ١٥٣

شبح أوكاياما: قصة الخيانة والعقاب.....١٦٥

الساحرة دي بلاكفيل:قصة الليالي اللي ما بتتنسيش ١٨٣

مذبحة هيل كريك "لما الأرض بلعت قرية كاملة".....١٩٧